التتار على ضفاف الفولغا

وشواطئ القرم

بقلم

سعيد إبراهيم كريديه

الطبعة الأولى

© ٢٠٠٧

توزيع

دار الرشاد

تلة الخياط -خلف حديقة حسن خالد

بناية البطل – بيروت - لبنان

تلفون ٠٠٩٦١١٧٩١٢٧١

المقدمة

تتطرق هذه الدراسة الى الوجود الاسلامي في منطقتين مختلفتين من شرق أوروبا وهما منطقة نهر الفولغا في روسيا ومنطقة شبه جزيرة القرم في اوكرانيا. وقد عزمت على الكتابة عن هذا الموضوع بسبب قلة وندرة ما كتب عن المسلمين في هاتين المنطقتين وخاصة باللغة العربية أضف لذلك عدم معرفة وأكاد أقول جهل العالم العربي بهؤلاء المسلمين وتاريخهم المؤلم وحضارتهم المشرقة.

تنقسم هذه الدراسة إلى قسمين:

القسم الأول عن مسلمي منطقة الفولغا في روسيا

القسم الثاني عن مسلمي شبه جزيرة القرم في أوكرانيا

وفي الختام آمل هن تحقق هذه الدراسة هدفها وتساهم في نشر المعرفة عن الشعوب الاسلامية.

والله ولي التوفيق

سعيد إبراهيم كريديه

القسم الأول

تتار الفولغا : تاريخ وحضارة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

دخل الإسلام قلوب أعداد كثيرة من الشعوب والأقوام فأزال عنها الغمة وفتح أمامها طريق الهدى والصراط المستقيم. وكم من أممٍ إزدهرت حضارتها بعد حملها مشعل الإسلام الذي أنار لها منابع الخير والمعرفة الصحيحة. ومن هذه الأمم تتار الفولغا[1] الذين بنوا حضارة في مدينة قازان والتي هي الآن عاصمة جمهورية تتارستان الفدرالية التابعة للإتحاد الروسي.

سألقي الضوء في هذا الكتاب على التاريخ الإسلامي لتتار الفولغا من خلال استعراض المراحل التي مر بها. سأبدأ أولاً بالحديث عن اعتناق هذا الشعب للإسلام في القرن العاشر الميلادي وعن حضارته الإسلامية حين كان شعباً بلغارياً نزح من شمال البحر

[1] نسبة إلى نهر الفولغا

الأسود واستوطن حوض نهر الفولغا بين القرنين الثامن والعاشر الميلاديين. ثم سأنتقل لتعرض هذا الشعب لغزوات جحافل جنكيز خان وخلفائه في القرن الثالث عشر الميلادي ثم سأشير إلى اختلاط العناصر التتارية في تلك الجحافل بالشعب البلغاري المسلم حيث أصبح هذا المزيج يعرف بإسم "تتار الفولغا". بعد ذلك سوف أتناول انشاء خانية قازان واستعرض تاريخها منذ سيطرة القياصرة الروس عليها ومن ثم انتقال هذه السيطرة الى الشيوعيين وانتهاءاً بانهيار الإتحاد السوفياتي واستعادة تلك الديار وجهها الإسلامي.

اعتمدت في هذا البحث على عدة مراجع باللغات العربية والإنكليزية والفرنسية وكان بعضها إلكتروني والآخر ورقي، وأود أن أذكر هنا أن المراجع العربية المتعلقة بتتار الفولغا وبمدينة "قازان" والدور التي لعبته في حوض الفولغا هي خجولة جداً بالمقارنة مع ما كتبه المؤلفون الغربيون سواء في الكتب أم في الدوريات أو على الإنترنت، وكم من مراكز أبحاث ودراسات روسية وغربية واستشراقية تقوم برصد وتوثيق كل شاردة و واردة عن تاريخ تتار الفولغا وخاصة المرحلة البلغارية وعن تاريخ وتراث مدينة قازان في شتى العصور، في المقابل ماذا في جعبة المسلمين؟ بكل أسف لا شيء، وهذا التقصير الإسلامي عامةً والعربي خاصةً دفعني واعطاني حافزاً قوياً للكتابة ولو بشكل متواضع

عن هذه المنطقة الإسلامية من العالم آملاً أن تكون هذه أول خطوة في رحلة المئة الميل.

وفي الختام، آمل من الله سبحانه وتعالى أن تفي هذه الدراسة بغرضها وهو التعريف بماضي تتار الفولغا الإسلامي مع التركيز على مدينة قازان وإظهار كل النواحي الحضارية فيه، وأرجو أن تساهم هذه الدراسة أيضاً في توثيق عرى التواصل والمعرفة بين المسلمين فيهتمون أكثر باخوتهم الذين ما زالوا تحت حكم دول غير إسلامية، كما أدعو الله عز وجل أن يساعد المسلمين في التعلم من أخطاء الماضي وعدم تكرارها وأخذها عبرة للأجيال القادمة، وأعتقد أن هذا هو أحد أهداف دراسة التاريخ.

والله ولي التوفيق

سعيد إبراهيم كريديه

بيروت – لبنان

1. التعريف بجمهورية تتارستان

1.1 الموقع:

الخريطة رقم (1): موقع تتارستان في روسيا

الخريطة رقم (2): تتارستان وأهم مدنها والدول المحيطة بها

تتارستان اليوم جمهورية فدرالية تقع في غرب الإتحاد الروسي وبالتحديد في شرق القسم الأوروبي من هذا الإتحاد عند إلتقاء نهري "فولغا Volga" و 'كاما Kama" [أنظر الخريطة رقم (1) في الاعلى]، ويحدها أربع جمهوريات اتحادية روسية هي "باشكيريا" من الشرق و "أودمورتيا" من الشمال و "ماري إيل" من الشمال الغربي و "شوفاشيا" من الغرب وأربع مناطق تخضع للحكم الروسي مباشرة وهي "أليانوفسك" و "سمارا" و "أورنغبورغ" في الجنوب و 'كيورف" في الشمال [أنظر الخريطة رقم (2) في الأعلى].

1.2 المساحة و السكان:

تبلغ مساحة جمهورية تتارستان حوالي 67836كلم مربع، أما عدد سكانها حسب التقديرات الرسمية لعام 2006 هو 3,761,534 نسمة، و تشير الاحصاءات الرسمية لعام 2002 أن 52.9% من السكان هم تتار و 39.5% روس و 3.3 % من قومية "تشوفاش" وهي نسب تدل على زيادة ملحوظة لعدد التتار وانخفاض لعدد الروس بالمقارنة لتقديرات عام 1989،[1] السواد الأعظم من التتار يدينون بالاسلام أما الروس و تشوفاس فكليهما أورثوذكس.[2] اللغة الرسمية في تتارستان هي التترية (غير لغة تتار القرم) والروسية، وكلتاهما تُكتبان بالأحرف السيريلية[3] مع العلم ان التترية كانت تكتب بالحروف العربية حتى عام 1929 و بالأحرف اللاتينية من عام 1929 حتى 1939، ومنذ ذلك الحين حتى الآن بالسيريلية.[4] واللغة التترية تحوي على كلمات عربية وفارسية وتركية كثيرة، أما التأثير الروسي فيها فينحصر في مجالي التكنولوجيا والإدارة.[5]

---

1 - **Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2008,** 8rd ed. London: Routledge , 2007, p.428.

2 -الخوند، مسعود، **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، بيروت: دار رواد النهضة، 1994، مج 6، ص 172.

3 - و هي الأحرف التي تُكتب بها اللغة الروسية.

4 - Akiner, Shirin, **Islamic Peoples of the Soviet Union,** 2nd ed, London: KPI, 1986, p. 67.

5 - المصدر السابق، ص 65.

عاصمة تتارستان هي مدينة قازان وتقع على نهر الفولغا ويبلغ تعداد سكانها حوالي 1,110,000 نسمة حسب تقديرات عام 2002.[1]

أهم المدن: "نابريجني تشلني Naberezhnye Chelny" و "نيجنكامسك Nizhnekamsk" و " ألمتيفسك Almetyevsk" و "زلنودولسك Zelenodolsk" و "تشتوبول Chistopol" .

1.3 المناخ:

الطقس في جمهورية تتارستان معتدل نسبياً حيث تتراوح درجة الحرارة في الصيف من 20 إلى 30 درجة مئوية، وفي الشتاء تنخفض درجة الحرارة فيها إلى 35 درجة مئوية تحت الصفر أحياناً. تتساقط الأمطار في الربيع والصيف والخريف وأغلب الأمطار تسقط في فصل الخريف، أما في الشتاء فتكسو أرضها الثلوج.

1.4 الإقتصاد:

تعبتر تتارستان من أكثر مناطق الإتحاد الروسي تطوراً من الناحية الإقتصادية، فبالإضافة لإنتاجها للنفط والغاز تحوي تتارستان على امكانيات صناعية وزراعية هائلة. وقد تحسن الوضع الإقتصادي لصالح التتار بعد انهيار الشيوعية، فتترستان تنتج في

Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2008, p.342. - [1]

العام 25 مليون طن من النفط ولم تكن تستفيد منه إلا بحوالي 10% و الباقي يذهب لموسكو، أما بعد سقوط الشيوعية أصبحت تتارستان تستفيد بحوالي 50% من النفط كما أصبحت تستفيد أيضاً من الثروة الزراعية ومن دخل صناعة الشاحنات.[1] أهم المنتوجات الزراعية هي الحبوب كم تشتهر تتارستان أيضاً بتربيه الماشية والنحل. وأهم الصناعات هي المنتوجات البترولية والبتروكيماويات ومواد البناء والصناعات التي تتعلق بالهندسة الميكانكية بالإضافة إلى صناعة السيارات. وأبرز المراكز الصناعية هي "قازان" العاصمة ومدن "نابريجني تشلني" و "نيجنكامسك" و "زلنودولسك"، كما تعتبر قازان نقطة إلتقاء للطرق المعبدة والحديدية والجوية كما أنها مرفأ رئيسي على نهر الفولغا.

---

[1]- حوار مع المفتي عثمان اسحاق رئيس الإدارة الدينية في تترستان، مجلة **المجتمع** عدد 1398 ، 2000/5/2 ، ص 36-37.

2. بداية التاريخ الإسلامي لتتار الفولغا

2.1 فترة بلغار الفولغا

2.1.1 وصول الإسلام إلى ضفاف نهر الفولغا

انتشر الإسلام على ضفاف نهر الفولغا[1] بشكل سلمي عن طريق التجارة، و يؤرخ البعض بدء هذا الإنتشار إلى عهد الخليفة الأموي "عبد الملك بن مروان" (646م–715م)، بينما يربطه البعض الآخر بفترة الخليفة العباسي المأمون (786م–833م).[2]

وبين القرنين الثامن والتاسع الميلاديين هاجرت قبائل بلغارية [3] من منطقة *آزوف*[4] شمال البحر الأسود واستوطنت في منطقة حوض نهر الفولغا فاحتكت بالتجار المسلمين

[1] - و يُعرف أيضاً باسم "إتل" أو "إيدل" و هو أطول أنهار أوروبا إذ يبلغ طوله 3688كلم و يقع في غرب روسيا (أو شرق روسيا الأوروبية) و ينبع من شمال غربها و يمر بعدة مدن منها "نيجني نوفوغرود Nizhny Novgorod" (غوركي Gorki سابقاً) و "قازان" و "فولغوغراد" (ستالينغراد سابقاً) و "أستراخان" ليصب بعدها في شمال بحر قزوين.

[2] - Islam in Tatarstan**. www.tatar.ru.** 17/4/2003.

[3] - Tatarstan: History. **www.tatar.ru.** 17/4/2003.

[4] - History of Tatarstan: Volga Bulgaria. **www.kcn.ru/tat_en/history/h_bulge.html.** 17/5/2004.

واعتنق كثير منها الإسلام. وجدير بالذكر أنه ابتداءاً من بداية القرن السادس الميلادي انتشرت قبائل شعب البلغار في المنطقة الممتدة من شمال القوقاز صعوداً حتى ضفاف نهري الدون و الفولغا وصولاً حتى منطقة نهر الدانوب في شرق أوروبا[1]. وتذكر بعض المراجع التاريخية أن للبغار عدة فروع منهم:

1- بلغار منطقة حوض نهر الفولغا: و يحكمها مسلمون بالرغم من بقاء عدد منهم على الديانة الوثنية،[2]

2- بلغار منطقة الخزر (أي بحر قزوين): و يحكمها اليهود ويعيش بينهم مسلمون ونصارى ووثنيون، و كل فرقة أكثر عدداً من اليهود ولكنهم جميعاً كانوا يدينون لليهود الخزر بالطاعة[3] وكانت عاصمتهم مدينة "إيتل Itil" وهو الإسم القديم لنهر الفولغا وموضع هذه المدينة هو نفس موضع مدينة "أستراخان" الحالية،[4]

3- بلغار منطقة نهر الدانوب في شرق أوروبا الذين أسسوا دولة لهم عام 681م، ومع الزمن اندمج هؤلاء مع الشعب السلافي المجاور لهم واعتنقوا المسيحية على المذهب الأورثوذكسي عام864م،[5] ودولة بلغاريا الحديثة هي ما تبقى من دولة بلغار الدانوب

---

[1] - Ziyatdinova, Flura, "Historical Memory of the Tatar Ethnic Group", *International Affairs*, (Jan 1995), **www.tatar.ru**. 18/4/2004.

[2] - شاكر، محمود، **التاريخ الإسلامي المعاصر**، مج 21: المسلمون في الإمبراطورية الروسية، ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1994، ص32.

[3] - المصدر السابق، مج 21، ص 32.

[4] - الخوند، مج 6، ص 173.

[5] - Öz Türkler, “Idyll (Volga) Bulgarian State: Origin of Bulgarians” **www.ozturkler.com**.27/5/2004

بعد أن قضى الروس على دولة بلغار الخزر عام 968م والتتار المغول على دولة بلغار الفولغا الإسلامية عام 1236م[1] والتي سنتكلم عنها في السطور التالية.

[1] - الخوند، مج 6، ص 173.

2.1.2 تأسيس دولة بلغار الفولغا الإسلامية

أسست القبائل البلغارية التي استوطنت حوض نهر الفولغا بين القرنين الثامن والتاسع الميلاديين –والتي تكلمنا عنها سابقاً– أول دولة إقطاعية في شمال شرق أوروبا،[1] وقد ظلت هذه الدولة تابعة لخان الخزر لغاية عام 965م حين استقلت تماماً عن الخان ولم تعد تابعة له بعد أن انتصر الأمير الروسي "سفياتوسلاف Sviatoslav" على الخزر.[2] تألف النسيج السكاني لهذه الدولة من خمس قبائل رئيسية هي: قبائل "البلغار" وقبائل "سوفار" (Suvar) وقبائل "أسكل" (Askl) وقبائل "برسولا" (Bersula) وقبائل "باراندجار" (Barandzhar)، إلا أن البلغار استطاعوا في القرن العاشر الميلادي أن يفرضوا سيطرتهم على باقي القبائل واستلام دفة الحكم في تلك الدولة.[3]

وابتداء من القرن العاشر الميلادي استطاع الإسلام أن ينتشر في هذه الدولة نتيجةً لجهود بعض التجار المسلمين ولأخلاقهم الحسنة، وقد تم ذلك قبل الاستقلال الكلي لتلك

---

1 - Tatarstan: History. **www.tatar.ru.** 17/4/2003.

2 - “The Bulgar State”. http**://groznijat.tripod.com/fadlan/rorlich2.html**. 9/6/2004

3 - المصدر السابق.

الدولة عن الخزر. وقد وصل الإسلام إلى دولة بلغار الفولغا عن طريق فارس و آسيا الوسطى.

وبغض النظر عن العادات و التقاليد الوثنية القديمة لشعب هذه الدولة فان الإسلام تغلغل فيها من خلال العلاقات التجارية والثقافية أحياناً مما أعطاه أبعاداً كشفت عن قوتها في المراحل اللاحقة لصعود تلك الدولة و صراعها الحاد مع الروس.[1] وفي ربيع عام 921م وصل إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية آنذك "عبد الله بن باشتو" مبعوث حاكم (أو "يلطوار Yltyvar" كما كان يدعى في لغتهم)[2] دولة البلغار واسمه "ألموش Almush". وقد حمل هذا المبعوث معه ثلاث رسائل إلى الخليفة العباسي "المقتدر بالله" يعرب فيها اليلطوار "ألموش" عن رغبته في اعتناق الاسلام.[3] وقد حدد يلطوار البلغار هذه الرغبة في أن يرسل له الخليفة بعثة تفقه في الدين وتعرفه شرائع الإسلام و أن يبني له (أي للخليفة) مسجداً وينصب له منبراً يقيم عليه الدعوة في جميع ممتلكاته، كما طلب الملك من الخليفة أيضاً ان يحميه من أعداء بلغار الفولغا، وكانوا آنذاك يهود الخزر.[4]

1- الجنابي، هيثم، **الإسلام في أوراسيا**، بيروت: دار المدى، 2003، ص 124.

2 - “The Bulgar State”. http://**groznijat.tripod.com/fadlan/rorlich2.html**. 9/6/2004

3 - المصدر السابق.

4 - إبن فضلان، أحمد، **رسالة إبن فضلان مبعوث الخليفة المقتدر إلى بلاد الصقالبة: عن رحلته إلى بلاد الترك و الخزر و الصقالبة الروس و اسكندينافيا في القرن العشر الميلادي، 921-924**، جمع و ترجمة و تقديم حيدر و محمد غيبة، بيروت: الشركة العالمية للكتاب، 1991، ص 33-34، 62. و انظر أيضاً: ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله، **معجم البلدان**، بيروت : دار صادر، 1955، ص 486-487.

استجاب الخليفة العباسي لطلب الملك وأرسل في نفس العام[1] مبعوثه إبن فضلان إلى مدينة بلغار[2] عاصمة تلك الدولة والتي تبعد الآن حوالي 140 كلم عن مدينة قازان و 30 كلم عن مكان التقاء نهري 'كاما" و "الفولغا". وفي وثيقة مكتوبة تعود لإبن فضلان يذكر الأخير ما يلي: "إن سمعة بغداد في الخارج كانت جيدة بل عظيمة يتهافت الملوك والأمراء عليها ليعقدوا معها أجمل الصلات وأوثق المحالفات حتى أن الصقالبة وهم من سكان الشمال في أوروبا على أطراف نهر الفولغا طلبوا عون الخلافة ومساعدتها"[3].

وفي 16 محرم من عام 310 هجرية (16 أيار 922 ميلادية) أصبح الإسلام الدين الرسمي لهذه الدولة[4] واعتمدت الأبجدية العربية للكتابة بدلاً من الحروف التركية القديمة.[5]

1- "The Bulgar State". **http://groznijat.tripod.com/fadlan/rorlich2.html**. 9/6/2004

2- يقيم المسلمون احتفالاً سنوياً منذ سقوط الشيوعية في مدينة بلغار الأثرية حيث يجتمع عشرات آلاف المسلمين رجالاً و شباباً و نساءاً من جمع أنحاء روسيا الإتحادية ليقيموا الصلاة على أنقاض جامع أثري بُني قبل ألف عام في تلك المدينة والتي أعلنوا فيها إسلامهم. (أنظر: مقال تحت عنوان "العراقيون سبب في دخول الإسلام إلى روسيا" في مجلة **الفتوى** العراقية عدد تموز 2000، ص 1).

3- إبن فضلان، ، ص 33-34.

4- Devlet, N. "Present situation of the Soviet Muslims: The example of Kazan Tatars", originally published in 1986, summarized and developed by A. Zahoor. **www.cyberistan.org/islamic/tatar.htm.** 17/5/2004

5- History of Tatarstan: Volga Bulgaria. **www.kcn.ru/tat_en/history/h_bulge.html.** 17/5/2004

2.1.3 حضارة دولة بلغار الفولغا الإسلامية

ومع دخول الإسلام إلى دولة البلغار واستقلالها عن الخزر طرأت تطورات كثيرة في ملامح حياة بلغار الفولغا، فقد غيّر الإسلام ملامح مجتمع هذه الأمة فأدخل القيم السامية ونشر العدل ودعا إلى المحبة والتسامح والمساواة كما شجب العنف والقسوة والمادية.

دخل الإسلام هذا المجتمع ودخلت معه الحضارة العربية الإسلامية فبرز العلماء والأدباء أمثال "يعقوب بن نعمان" الذي عاش في النصف الأول من القرن 12 الميلادي وألّف كتاب *تاريخ بلغاريا*، وفي مجال الطب عُرِف العلامة "برهان ابن بلغاري"، وفي الشعر اشتهر "كول غالي Kul-Gali" الذي كتب قصيدة "قصة يوسف Kyssai-Yusuf" في القرن 13 الميلادي وكان له أثر كبير في تطوير الأدبين البلغاري والتتري.[1]

ومن مظاهر حضارة بلغار الفولغا الإسلامية أيضاً صناعة المجوهرات من الذهب والفضة والبرونز والنحاس، وكانت تلك المجوهرات ذات طابع مميز جداً حيث كانت

[1] - History of Tatarstan: Volga Bulgaria. **www.kcn.ru/tat_en/history/h_bulge.html.** 17/5/2004

الطيور المائية طاغية على كل أشكال الحلي من خواتم وقراط وسوار ومرايا برونزية، وأهم تلك الطيور كان البط لأنها كانت رمزاً للحياه في التراث البلغاري.[1] كما اشتهر بلغار الفولغا في صناعة الأقمشة المرصعة بالخرز والفضة،[2] ونجحوا في دباغة الجلود التي تألقوا بها فبرعوا في صناعة الأحذية والمعاطف والأحزمة، وقد ذاع صيت بلغار الفولغا في دباغة الجلود إلى ما وراء الأورال في أوروبا حتى دعي أحد أنواع الجلود باسم "بلغاري"،[3] وكان الروس خلال معاركهم مع بلغار الفولغا يتباهون بانتعالهم الأحذية البلغارية.[4] وقد تفوق بلغار الفولغا أيضاً في صناعة الأواني الفخارية حيث طور الخزافون البلغار تقنية وأسلوب خاصين بهما مما جعل الأواني التي أنتجوها ذات ميزة فريدة من نوعها من حيث الشكل والزينة.[5] وكانت العاصمة مدينة "بلغار" مبنية من الحجر والقرميد وكانت المياه فيها مؤمنة لكل سكانها[6]، كما شُيد فيها عدد كبير من المساجد والمدارس والقصور والمباني والفنادق الصغيرة وكلها كانت مزودة بنظم للتدفئة المركزية.[7] ومن جهةٍ أخرى ساهم الإسلام في تطوير النظام التعلمي في دولة بلغار

1- “The Bulgar State”. http://groznijat.tripod.com/fadlan/rorlich2.html. 9/6/2004

2- History of Tatarstan: Volga Bulgaria. **www.kcn.ru/tat_en/history/h_bulge.html.** 17/5/2004

3- “The Bulgar State”. http://groznijat.tripod.com/fadlan/rorlich2.html. 9/6/2004

4- المصدر السابق.

5- المصدر السابق.

6- History of Tatarstan: Volga Bulgaria. **www.kcn.ru/tat_en/history/h_bulge.html.** 17/5/2004

7- Hisotry of Kazan. **www.kcn.ru/tat_en/kazan/capital.html.** 17/5/2004

الفولغا فانتشرت المدارس في كافة القرى البلغارية وأضحى التعليم يتلائم والقيم الإسلامية[1] بعد أن تخل المجتمع عن القيم الوثنية التي كانت سائدة بالسابق.

وعلى الصعيد الإقتصادي كانت دولة بلغار الفولغا الإسلامية تصدر الفراء والخشب والجلود والأحذية والأسلحة (سهام – سيوف – دروع) إلى كل من الصين وبيزنطة وروسيا والشرق الأوسط.[2] أما الواردات فكانت الأقمشة والأواني الخزفية وبعض السلع الكمالية التي كان يغلب عليها طابع الرفاهية، وكان من نتيجة هذه التجارة الواسعة قيام تجار شركاء من بلغار الفولغا وآخرون في ممالك أخرى، كما أعطت التجارة مردوداً وفيراً من المال لدرجة أن البعض قام بترميم بعض المساجد خارج البلاد.[3]

وقد جاء في معجم *البلدان*[4] لياقوت الحموي (1178–1229)[5] ما يلي:

---

[1] - History of Tatarstan: Volga Bulgaria. **www.kcn.ru/tat_en/history/h_bulge.html.** 17/5/2004

[2] - المصدر السابق.

[3] - Öz Türkler,“Idyll (Volga) Bulgarian State: Social and Economic Life” , **www.ozturkler.com,** 27/5/2004

[4] - بيروت: دار صادر، 1955، مج1، ص 485-486.

[5] - هو: أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. أصله من بلاد الروم (أي آسيا الصغرى حين كانت تحت حكم البيزنطيين)، ولد حوالي عام 1178م أُسِراً صغيراً و اشتراه تاجر من بغداد اسمه عسكر بن إبراهيم الحموي فرباه و علمه و شغله بالأسفار ثم عتقه. جال ياقوت في مدن إيران و العراق و الشام و مصر، راجع المكاتب و يعود الفضل إليه في جمع مواد لولاه لكانت ضاعت علينا. من مؤلفاته كتاب **معجم الأدباء** من نحاة و لغويين و قراء و علماء الأخبار، و كتاب **معجم البلدان** الذي يُعتبر أفضل مصنف من نوعه لمؤلف عربي في العصور الوسطى، و هو جامع للرحلات و الجغرافيا في صورها الفلكية و الوصفية و اللغوية، و قد اعتمد في اعداده على الكتب الجغرافية السابقة على رحلاته التي قام بها، كما أن لهذا الكتاب قيمة أدبية كبيرة لما فيه من الشواهد الشعرية، و لياقوت مصنفان جغرافيان هما **المشترك وضعاً و المفترق صقعاً** و الكتاب الثاني هو **مراصد الإطلاع على أسماء الأماكن و البقاع**. توفي عام 1229م. (انظر **الموسوعة العربية العالمية**، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، 1996، مج 27، ص286. و راجع أيضاً : توتل،

"بُلغار مدينة الصقالبة ضاربة في الشمال، شديدة البرد يكاد الثلج يقلع عن أرضها صيفاً و لا شتاءاً وقل ما يرى أهلها أرضاً ناشفة وبناؤهم بالخشب وحده وهو أن يُرَكّبوا عوداً فوق عود و يسمروها بأوتاد من خشب أيضاً محكمة، والفواكه والخيرات بأرضهم لا تنجب ... وكان ملك البلغار وأهلها قد أسلموا في أيام المقتدر بالله أرسلوا إلى بغداد رسولاً يعرّفون المقتدر [أي الخليفة العباسي المقتدر بالله] ذلك ويسألونه إنفاذ من يعلمهم الصلوات والشرائع، لكن لم أقف على السبب في إسلامهم".

فردينان، "المنجد في الأدب و العلوم: معجم لأعلام الشرق و الغرب"، في: **المنجد في اللغة و الأدب و العلوم**، ط15 بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1956، ص 572).

3. فترة حكم القبيلة الذهبية

في عام 1223م تعرضت دولة بلغار الفولغا لهجوم قاسٍ قامت به جحافل "جنكيز خان" المغولية. وكانت هذه الجحافل تشمل أعداد كبيرة من أفراد قبيلة أطلق عليها الصينيون اسم "تاتا" وأصبحت مع الزمن "تتار" وكانت تقطن شمال غرب الصين وأخضعها القائد المغولي جنكيز خان في بداية القرن الثالث عشر الميلادي. ويذكر الموقع التالي على الإنترنيت:http://members.tripod.com/~Groznijat/fadlan/rorlich1.html أنه هناك خلاف حول أصل هذه القبيلة فالبعض يقول أنها فرع من فروع المغول والبعض الأخر يرجعها إلى أصول تركية، إلا أن ما يهمنا الآن هو أنه بعد إخضاعها أطلق جنكيز خان اسم "تتار" على كل من يقع تحت سيطرته فامتزج اسم "تتار" و"مغول" مع بعضهما وأصبح الاسمين مع الزمن يستعملان للدلالة على جيش جنكيز خان وخلفائه.

فشل هجوم جنكيز خان في احتلال دولة بلغار الفولغا بسبب مناعة المقاومة التي أبدتها تلك الدولة. وفي عام 1227م توفي جنكيز خان فتقاسم الأمبراطورية أولاده الثلاثة وحفيده الذي كان يدعى "باتو خان". قام باتو خان في عام 1236م بهجوم على دولة

بلغار الفولغا على رأس جيشٍ قوامه 600000 مقاتل، فاحتل البلاد وأخضع العاصمة مدينة "بلغار" بعد أن ترك دماراً وخراباً شديدين. وكان هذا الهجوم من ضمن خطة وضعها القادة المغول لاحتلال أراضٍ واسعة غرب إمبراطوريتهم فاحتلوا مناطق واسعة في أوروبا الشرقية. وفي عام 1242م أسس باتو خان دولة عرفت بإسم "القبيلة الذهبية" واتخذ عاصمة له مدينة "سراي"[1] التي تقع على الحوض الأوسط لنهر الفولغا.

اعتنق تتار القبيلة الذهبية ديانات متعددة من أبرزها الشامانية،[2] بالإضافة إلى انتشار اليهودية والمسيحية والبوذية والطاوية الصينية فيما بينهم، لكن باتو خان كان يعطف على المسلمين ويتسامح معهم. وعندما توفي عام 1255م خلفه ابنه الذي ما لبث أن توفي فشغل المنصب عمه (أي أخ باتو) ويدعى "بركة خان" الذي كان قد دخل الإسلام منذ طفولته.[3] استمر حكم بركة خان حتى عام 1267م وتحول أثنائها معظم أفراد القبيلة الذهبية إلى الإسلام فكانت أول قبائل المغول التي اعتنقت الدين الحنيف. وكانت سلطة هذه القبيلة تمتد من المحيط المتجمد الشمالي حتى آذربيجان ومن تركستان ووسط سيبيريا حتى بولندا وهنغاريا وما يسمى اليوم أوكرانيا و روسيا ولم يكن ينصب أمير على موسكو إلا بعد موافقة حكام القبيلة الذهبية. وفي هذه الأثناء اختلط هؤلاء المغول

[1] - من الأرجح أنها كانت على بعد 120 كلم شمال من مصب هذا النهر في بحر قزوين.

[2] - وهي ديانة بدائية غير سماوية انتشرت في آسيا الوسطى.

[3] - بركة خان هو حفيد جنكيز خان و ابن عم هولاكو الذي استباح مدينة بغداد عام 1258. و أما اسلام بركة خان فانه كان فتحاً للإسلام و المسلمين في تلك الأصقاع مما جعل المؤرخين من العرب و المسلمين ينو هون به .

الذين عرفوا أيضاً باسم "التتار" ببلغار الفولغا المسلمين إختلاطاً شديداً و أصبح منذ ذلك الوقت سكان هذه المناطق يُعرفون جميعاً بإسم "التتار"[1].

كانت دولة بلغار الفولغا خلال ذلك الوقت تتمتع بين الحين و الآخر باستقلال ذاتي وخاصة في مجال السياسة الخارجية، وكان حكام القبيلة الذهبية قد أنشاوا مدينة "قازان" على ضفاف الفولغا شمال مدينة بلغار[2] في القرن 13 الميلادي[3] في عهد باتو خان، وقد اشتهرت هذه المدينة فيما بعد و اصبحت من أهم مدن نهر الفولغا، كما ازدهرت مدينة بلغار في عهد حكم القبيلة الذهبية وأصبح لها مكانة إقتصادية وسياسية حيث كانت أحد المقرات الرئيسية لباتو خان وسُكّت فيها النقود.

وقد ذكر المدينة المؤرخ و الجغرافي "أبو الفداء"[4] في كتابه **تقويم البلدان**"[5] فقال:

---

1 - الخوند، مج 6، ص 174.

2 - المصدر السابق ، مج 6، ص 174

3 - The School of Russian and Asian Studies, “Kazan”, **www.sras.org/cities**, 18/5/2004

4 - هو عماد الدين إسماعيل أبو الفداء، أمير عربي مسلم و مؤرخ و جغرافي ولد في دمشق عام 1273م كان والده أمير مدينة حماه و هو أحد فروع الدولة الأيوبية. اشترك أبو الفداء مع والده في الجهاد ضد الصليبيين ثم التحق بخدمة السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون و في عام 1310 أصبح أبو الفداء حاكماً على حماه و لقب بالملك الصالح و الملك المؤيد. و ترجع شهرة أبي الفداء في الجغرافيا الى كتابه الذي بدأ تأليفه سنة 1317 و أتم مسودته بعد أربع سنوات واختار له عنوان **تقويم البلدان** و هو معجم جغرافي مقسم إلى قسمين الأول يضم معلومات عامة عن الأرض و البحار و الأنهار أما القسم الثاني فتناول معلومات عن مناطق جغرافية في الأندلس و شمال افريقيا و السودان و الجزيرة العربية و الشام و العراق و فارس و الصين و وسط أسيا و القوقاز و آسيا الصغرى. توفي أبو الفداء في حماه عام 1311. (راجع **دائرة المعارف الإسلامية**، مادة "أبو الفداء"، القاهرة : مطبعة الاعتماد , 1933، مج 1، ص 386؛ و راجع أيضاً **الموسوعة العربية العالمية**، مادة "أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل"، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، مج 17، ص 241).

5 - اعتنى بتصحيحه وطبعه رينودم وماك كوكين ديسلان، باريس : دار الطباعة السلطانية, 1820، ص 317.

"ومدينة بلار يقال لها بالعربي بلغار وهي بلدة في نهاية العمارة الشمالية وهي قريبة من شط أتل[1] من البر الشمالي الشرقي... والجبل عنها اقل من يوم وبها ثلاثة حمامات وأهلها مسلمون حنفية ولا يكون بها شيء من الفواكه ولا أشجار للفواكه لشدة بردها وكذلك العنب لا يوجد بها ويستوي بها الفجل ويكون اسود في غاية الكبر، وحكى لي بعض أهلها أن في أول فصل الصيف لا يغيب الشفق عنها ويكون ليلها في غاية القصر"[2].

كما زار المدينة في تلك الفترة الرحالة العربي ابن بطوطة[3] وذكرها في مؤلفه **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**،[4] وكتب عن قِصَر الليل والنهار فيها فقال: "وكنت سمعت بمدينة بلغار فأردت التوجه إليها لأرى ما ذكر عنها من انتهاء قصر الليل بها وقصر النهار أيضاً في عكس ذلك الفصل".[5]

---

1 - أي نهر الفولغا.

2 - المصدر السابق، ص 317.

3 - هو أبو عبد الله محمد، رحالة و مؤرخ مسلم مشهور ولد في طنجة بالمغرب عام 703هـ - 1304م و قام بثلاث رحلات إستغرقت زهاء 29 عاماً زار خلالها الحجاز و مصر و الشام و العراق و فارس و اليمن و البحرين و إفريقيا الشرقية و آسيا الصُغرى و القسطنطينية و القرم و الهند و الصين و أفغانستان ثم رجع عن طريق جزيرة سومطرا في إندونيسيا و عاد إلى المغرب ثم إلى غرناطة فزار من بعدها غرب إفريقيا و بالتحديد ما يعرف اليوم بدول مالي و النيجِر و غرب موريتانيا و شرق الجزائر و ذلك بين عامي 753هـ - 1352م و 754هـ - 1353م. له كتاب **تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار** المعروف أيضاً بإسم **رحلة أبن بطوطة** و الذي تُرجم إلى عدة لغات أوروبية. توفي في مراكش عام 779هـ - 1377م

4 - حققه و قدم له و علّق عليه علي المنتصر الكتاني، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1975، مج 2، ص 174

5 - المصدر السابق، مج 2، ص 374

بدأ الضعف يدب في القبيلة الذهبية وخاصة بعد وفاة أحد حكامها المدعو "محمود جاني" عام 1357م، فخلفه حكام ضعاف وظالمون. وفي العقد الأخير من القرن 14 الميلادي وقعت حروب ضارية بين "طوقتاميش" حاكم القبيلة والقائد المغولي "تيمورلنك"، فقام الأخير بدخول مدينة "سراي" عاصمة القبيلة الذهبية فضعف أمرها أكثر فشجع ذلك انفصال بعض مناطق عن القبيلة منها خانية[1] سيبريا وخانية خوارزم وخانية نوغاي و خانية أستراخان و خانية القرم و خانية قازان. ومن المفيد أن نعلم أن الإمارات التتارية التي انفصلت عن مدينة "سراي" لم تكن أبداً يداً واحدة تقف في وجه الروس العدو الجديد الآتي من الغرب، وإنما كان بعضها يدعم الروس ضد خانيات التتار الأخرى أو يقف أحياناً بجانبهم ضد إخوانه المسلمين وأشقائه التتار.[2]

[1] - "خانية" كلمة تركية و تعني الإمارة و رئيسها كان يدعى "خان"
[2] - شاكر، مج21، ص 41.

4. فترة خانية قازان

أسس هذه الخانية "أولوغ محمد" عام 1437م وهو أحد حكام القبيلة الذهبية وحفيد طوقتاميش. وكان أولوغ محمد قد حاول أن يحكم القرم لكنة فشل فقدم إلى منطقة بلغار الفولغا التي عانت من هجوم روسي وحشي أدى إلى تدميرها عام 1399م[1] وطلب من سكانها السكن فيها فأطاعوه وبدأت تدب الحياة فيها من جديد فأسس خانية[2] عام 1437 عاصمتها مدينة قازان التي عُرفت أيضاً باسم "بلغار جديد" أي بلغار الجديدة، وأطلق على هذه الخانية إسم "خانية قازان".

أما حدود هذه الخانية فكانت:

من الشمال: قبائل فنلندية

من الشرق و الجنوب الشرقي: خانية نوغاي

من الشمال الشرقي: خانية سيبير والتي امتدت فيما يعرف اليوم بغربي سيبيريا وعاصمتها مدينة سيبر أيضاً، وجدير بالذكر أن كلمة سيبيريا مشتقة من كلمة سيبير.

من الغرب: إمارة موسكو

---

[1] - Öz Türkler,"Idyll (Volga) Bulgarian State: Political History", **www.ozturkler.com**, 27/5/2004

[2] - شاكر، مج 21، ص 50.

من الجنوب الغربي: خانية القرم

من الجنوب: خانية أستراخان التي تقع في مصب نهر الفولغا.

حاول أولوغ محمد عند استلامه الحكم أن يعيد مجد القبيلة الذهبية ويوحد أراضها التي تقسمت وتفتفتت إلى عدة خانينات. وكانت أول خطوة في ذلك عام 1439م حين اتجه غرباً وهاجم موسكو وحاصرها، لكن ما لبث أن فك حصارها بعد أن جمع غنائم من أهلها[1]. ثم عاود الغزو مرة أخرى عام 1445م ودمر مدينة "كولوما" القريبة منها و أسر أمير موسكو "فاسيلي Vasily" الثاني ثم أطلق سراحه فيما بعد بموجب إتفاقية تدفع من خلالها موسكو لخانية قازان تعويضات مالية وتنشئ خانية بالقرب منها في مدينة "غورودوك Gorodok" على نهر "أوكا Oka" تعطى لأحد أبنا أولوغ محمد وهو "قاسم"، وكان الهدف من إقامة هذه الخانية هو مراقبة تحركات موسكو كي يتمكن أولوغ محمد من التدخل عند الضرورة لحماية خانيتة، وكانت جميع مصاريف الجيش المرابط في هذه المنطقة تقع على عاتق المدن الروسية بالإضافة إلى ضريبة سنوية كانت مفروضة على موسكو[2].

---

[1] - شاكر، مج 21، ص 50.
[2] - Öz Türkler,"Kasim Khanate" **www.ozturkler.com**, 27/5/2004

في عام 1446م توفي أولوغ محمد وسيطر مكانه ابنه محمود، فوقع خلاف مع أخويه قاسم و يعقوب ففرا إلى موسكو. وهناك أُعطي قاسم مدينة "غورودوك" طبقاً للإتفاقية وإكراماً له حُوِّل إسمها إلى "قاسموف Kasimov" التي أصبحت عاصمة لخانية قاسم التابعة لموسكو[1] تقوم من خلالها الأخيرة بالتدخل في الشؤون الداخلية لخانية قازان[2].

استمر محمود في خلافه مع موسكو حتى توفي عام 1462م فخلفه ابنه خليل الذي حكم حتى العام 1467م، ثم أتى من بعده أخوه "إبراهيم". قام "إبراهيم خان" بعدة حملات ناجحة[3] ضد موسكو المدعومة من عمه قاسم[4]. وفي عام 1469م تمكن الروس من الإنتقال إلى الهجوم بعد أن كانوا في موضع الدفاع وهاجموا الخانية وحاصروا قازان وأجبروا "إبراهيم خان" على اطلاق سراح جميع الأسرى الروس المعتقلين في قازان[5]. وفي عام 1479م توفي "إبراهيم خان" فخلفه ابنه "علي خان" الذي ذُكر في المصادر بإسم "إلهام"[6]، غير أن الابن الثاني "محمد أمين" فر إلى موسكو مغاضباً لأخيه و منازعاً له، فدعمه الروس بجيشٍ كثيف تمكن به من احتلال قازان واستلام خانيتها، كما تم أسر أخيه "على خان" وحمله إلى موسكو فسجن هناك وتوفي في معتقله.

---

1 - Benningsen, A, "Kazan", **Encyclopedia of Islam**, Leiden: E.J. Brill, 1986, vol 4, p.849.
2 - Öz Türkler,"Kasim Khanate" **www.ozturkler.com**, 27/5/2004
3 - Benningsen, vol 4, p.850
4 - شاكر، مج 21، ص 50.
5 - Benningsen, vol 4, p.849
6 - المصدر السابق.

اعترض أهل قازان على حكم "محمد أمين" لكنهم لم يستطيعوا خلعة بسبب الدعم الروسي له. لكن في عام 1495م هجم تتار من خانية سيبير بقيادة "ماموق خان" على قازان ففر محمد أمين مع أهله إلى موسكو. حكم "ماموق خان" قازان لمدة عام لكن سكانها لم يحبذوه إنما رغبوا بتولي "عبد اللطيف خان" الأخ الأصغر لمحمد أمين في حكم البلاد. وقد نصبوه فعلاً ورحل ماموق خان إلى خانية نوغاي (Nogay) التي كانت تقع بين نهري "دون" و "دنيبر"[1]. وفي عام 1502م استُدعِي "عبد اللطيف خان" إلى موسكو واعطي الحكم لمحمد أمين.

كان "محمد أمين" في بادئ الأمر متعاوناً مع الروس لكن سرعان ما انقلب عليهم فحاربهم عام 1506م وانتصر عليهم قرب مدينة "نجني نوفوغورد" شرق موسكو فعقد الروس معه معاهدة سلام في السنة التالية.

توفي "محمد أمين" عام 1518م كما توفي أخوه "عبد اللطيف" قبل عام ولم يكن لديهما عقب أو وريث فانقطع نسل "أولوغ محمد" ودخلت خانية قازان في فترة من الفوضى.

[1] - أي المنطقة الممتدة من غرب أوكرانيا حتى القطاع الأوسط من غرب روسيا.

في هذا الجو من عدم الإستقرار عين الروس عام 1519م أحد أمراء التتار خاناً على قازان وهو "شاه علي". لكن أهل قازان لم يرضوا عن هذا الخان فاتفقوا مع خان القرم "محمد غيراي Giray" أن يرسل لهم أخاه "صاحب غيراي" ليكون حاكماً على خانية قازان. فأتى إليهم عام 1521م وخُلِع شاه علي وإلتجأ إلى موسكو واندلعت الحرب بين الروس و قازان. وهنا تختلف المصادر في تواريخ وأحداث هذه الحرب، فيذكر "بنِّغسن Benningsen[1]" أن الأخوين غيراي قاما عام 1521م بحملة عسكرية ضد موسكو ووصلا فيها إلى أسوار المدينة وتم أخذ مئات الألوف من الأسرى الذين بيعوا فيما بعد في القرم، لكن الهجوم فشل فيما بعد ولم تنجح الحملة تماماً. أما شاكر[2] فيفيد أن الروس أرسلوا جيشاً غلى قازان بقيادة شاه علي عام 930هـ (أي ما يعادل1523م) وعام 931هـ (اي ما يعادل 1524م) فارتكب أبشع الجرائم في المرتين. عرض "صاحب غيراي" على السلطان العثماني "سليمان القانوني" أن تتبع قازان الدولة العثماينة فعارض الروس ذلك و سيروا جيشاً إلى قازان بإمرة "شاه علي" لكن لم يحدث قتال و لكن فر صاحب غيراي إلى القرم بعد وفاة أخيه "محمد" عام 1530م وترك الحكم لإبن أخيه "صفا غيراي"[3] البالغ من العمر 13 عاماً[4]. ومنذ ذلك الحين بدأ الضغط الروسي يأخذ شكلاً آخر غير الشكل العسكري وهو الضغط الإقتصادي، فقد منع أمير موسكو

1- vol 4, p.849

2- مج 21، ص 51.

3- المرجع السابق، مج 21، ص 51.

4- Benningsen, vol 4, p.849

التجار الروس من التعامل مع خانية قازان، وأقام معرضاً سنوياً في إمارة موسكو ينافس معرض قازان، كما شرع ببناء قلعة عند إلتقاء نهري الفولغا و سورا Sura غرب قازان مُفتتحاً بذلك محاولات الروس لإحتلال وسط حوض نهر الفولغا.[1]

في هذه الأثناء أُنهك أهل قازان من الحرب مع موسكو، فسار بعض وجهائها إلى موسكو وعرضوا الصلح وطلبوا تعيين خان من قبل موسكو عليهم[2] مقدمين للأخيرة كل الذرائع للتدخل في شؤون خانية قازان، فقام مؤيدو موسكو من تتار قازان بتعيين "جان علي" بعد أن رحل الخان الصغير "صفا غيراي" إلى القرم عام 1530م. وفي عام 1535 قتل "جان علي" على يد امراء من قازان مؤيدين لآل "غيراي"، فعاد صفا غيراي الى الحكم و تحارب مع الروس الذين هاجموا مدينة قازان ففر هذا الخان عام 1546م وتسلم زمام الأمور "شاه علي". لكن ما أن انسحبت القوات الروسية المرافقة لشاه علي حتى عاد "صفا غيراي" وبقي بالحكم حتى وفاته عام 1549م، أما ابنه ووريثه "أطمش" فكان صغيراً يبلغ 12 من العمر فتولت أمه "سيوم بيك"[3] الحكم عنه حتى رُحِّل عام 1551 إلى موسكو وعُمِّد تحت اسم "اسكندر" وعاش حتى عام 1566م[4]. استغل أمير موسكو هذا الوضع وهاجم قازان بجيش كثيف ومعه "شاه علي" الذي نصب خاناً على

---

1 - المصدر السابق، vol 4, p.849
2 - شاكر، مج 21، ص 51.
3 - يوجد برج باسمها في كرملن قازان.
4 - Benningsen, vol 4, p.849

قازان للمرة الثالثة. رفض وجهاء قازان خانية شاه علي فثاروا ضده و خلعوه عن العرش ووضعوا مكانه خاناً آخر اسمه محمد يقول بنينغسن أنه "ياديغار Yadigar محمد" من مدينة أستراخان[1]، بينما يذكر شاكر أنه محمد خان ومن النوغاي[2]. لكن الروس لم يعجبهم قدوم هذا الخان الى قازان واستلام الحكم فيها فقاموا بحملة عسكرية على المدينة بقيادة القيصر "إيفان الرابع" الملقب بإيفان الرهيب وبالتعاون مع "شاه علي" ولم تفلح كل المحاولات التي أجرتها قازان في طلب العون من الخانيات الأخرى أو الدولة العثمانية.

---

1 - المصدر السابق ص vol 4, p.849

2 - مج 21، ص 52.

5. احتلال الروس لقازان ولخانيتها

وصل الجيش الروسي إلى قازان في 20 آب 1552م وبعد ثلاثة أيام حاصر المدينة من جميع الجهات بفرقة عسكرية قوامها 150000 جندي و 150 قطعة مدفعية، وكانت هذه الفرقة بقيادة مهندس انكليزي يدعى "بتلر Butler". أما في الجانب الآخر فكان لدى قوات قازان 33000 جندي فقط داخل المدينة و 15000 خيال خارجها.[1] تحرك هؤلاء الخيالة وهاجموا مؤخرة الجيش الروسي فأحدثوا ذعراً وإرباكاً لدى العدو. وكان أهل قازان قد ملئوا الأقنية المائية بالمتفجرات وفجروها أمام الروس مما أدى إلى تدمير أسوار المدينة فساعد ذلك الروس بالولوج داخلها والهجوم على قلعتها.

احتل الروس قازان بعد قتال مرير يوم 24 شوال عام 959هـ الموافق 2 تشرين الأول 1552م بقيادة "إيفان الرهيب" وأزالوا هذه الخانية وضموها إلى موسكو بعد أن بقيت مدة مائة وثماني عشرة سنة قلعة من قلاع المسلمين على نهر الفولغا، فهل يدري مسلمو

Öz Türkler,“Fight with Russians”, **www.ozturkler.com**, 27/5/2004 - 1

اليوم هذه الحقيقة، وهل تعود أمجاد قازان الى أيامها الغابرة؟؟ سؤال تجيب عنه الأجيال القادمة.

قام الروس لدى دخولهم قازان بإلقاء القبض على "ياديغار خان" وباقتراف ابشع المجازر والمذابح، وعمدوا إلى قتل نخب الشعب ومدرسيين وعلماء وخاصة أولئك الذين كانوا في محيط مسجد "كول شريف" بعد أن دافعوا عن شرفهم وعقيدتهم بالسيوف فقط، فماتوا شهداء. ولم يكتف الروس بذلك بل قاموا بذبح كل من رأوه على قيد الحياة سواء كانت رجل او إمرأة أم طفل ودمروا العديد من المساجد والقصور. كما احتل ايفان الرهيب قلعة الكرملن التي بُنيت منذ عهد القبيلة الذهبي. ويُعتقد أن الروس أخذوا نموذج هذه القلعة وبنوا "كرملن موسكو."

وهكذا غدت آسيا الوسطى وسيبيريا كلها تحت الحكم الروسي باستثناء خانية القرم الذي أجل الروس احتلالها ريثما يقوى أمرهم ويتمكنوا بعدها من منازلة القرمين وصد العثمانيين.

وفي ختام هذه الفقرة لا يسعنا إلا ان نقول اللهم اغفر لنا وسامحنا واجعلنا في مقام هؤلاء الشهداء الأبطال الذين امتزج دمهم الطاهر بمياه الفولغا.

6. الحياة الفكرية والإقتصادية والإجتماعية في قازان قبل سقوطها بأيدي الروس

كانت مدينة قازان بين القرنين 15م و 16م عاصمة خانية سميت بإسمها، وكانت مدينة رائعة تبهج النظار لجمالها ولروعة عمارتها من مساجد وقصور وقلاع حتى قيل عنها "عاصمة الشرق"[1].

كان شعب مدينة قازان كباقي الخانية يتألف من بلغار الفولغا وهم السكان الأصليين ومن جماعات من التتار كانت منضوية في جيش حفيد جنكيز خان باتو خان الذي احتل المنطقة عام1236م، وكان أفراد هاتان المجموعتان مسلمين سُنه على المذهب الحنفي. وكان هناك قبائل "شوفاس" التي كانت تدين بالشامانية وقبائل فنلندية معادية للروس وهذا ما جعلها تتآلف مع بلغار الفولغا و التتار. وكان الشوفاس و الفنلنديون يدفعون الجزية لحاكم خانية قازان فعاشوا بوئام وسلام ومارسوا حريتهم الكاملة في البلاد ولم يثوروا ضد السلط بل شارك بعضهم معها في مقاومة الروس[2].

1- "Kazan: History of the city", **www.kazan.ws/cgi-bin/eng/view**, 17/5/2004

2- Öz Türkler,"Kazan: Ethical Structure" www.ozturkler.com,27/5/2004

عمل معظم سكان قازان وخانيتها بالزراعة، إلا أن نخبة من المعماريين والحرفيين سكنت مدينة قازان، كما اشتهرت الخانية بصناعة الجلود والأحذية وصيد السمك من نهر الفولغا وتربية النحل فانتعشت تجارة العسل والشمع بالإضافة إلى تجارة الفراء هذا إلى جانب أنها كانت مركزاً تجارياً مهماً. ولعل أهم ما برعت به قازان كان صياغة المجوهرات وابدع ما أنتجته كان التاج الذهبي الذي استولى عليه إيفان الرهيب خلاله هجومه على المدينة ومن ثم أخذه إلى موسكو.

7. النتائج السلبية لسقوط خانية قازان على مسار الدعوة الإسلامية في حوض نهر الفولغا

كان لسقوط قازان نتائج سلبية جداً على مسار الدعوة الإسلامية في حوض الفولغا، فمع إنهيار هذه الدولة الإسلامية التي كانت قلعة من قلاع الإسلام في آسيا الوسطى انهارات كافة الخانيات والإمارات التترية الإسلامية في تلك المنطقة واحدة تلو الاخرى وفتح المجال أمام الروس لنشر وتثبيت دينهم وحتى سلطتهم في تلك الأصقاع البعيدة عن موسكو. كما أدى سقوط خانية قازان وما تلاها من خانيات إلى تحويل نهر الفولغا لنهرٍ روسي بعد أن كان نهراً إسلامياً.

وقد هز سقوط قازان والتنكيل بأهلها المؤرخين الروس أنفسهم، فذكر المؤرخ الروسي "م. خودياكوف" ما يلي :"إن ما حدث في اليوم الثاني من تشرين الأول (يوم اقتحام إيفان الرهيب مدينة قازان) لم يسبب بسقوط عدد هائل من الضحايا وبجلب المعاناة والمآسي

لسكان قازان بل انه احدث هدماً ودماراً هائلين للإزدهار الذي تراكم في المدينة عبر الأجيال".[1]

وقد ترافق مع هذا التدمير للحضارة الإسلامية جهود قوية للقضاء على التراث الروحي الإسلامي، إذ يقول المؤرخ الروسي ن. ن. فيسسوف :" ومع وصول طبقة النبلاء الروس إلى قازان و بناء الأديرة فيها بدأ الإضطهاد الديني يأخذ مجراه في تلك المدينة. وكان إيفان الرابع المتأثر برجال الدين الأرثوذكس هو المحفز لهذا الإضطهاد، إذ قام بهدم المساجد ومنع إعادة تعميرها. ومن جهةٍ أخرى انكب المبشرون الروس في قازان على تحويل أكبر عدد ممكن المسلمين عن الإسلام إلى الأرثوذكسية."[2]

---

[1] - Hunter, Shirin,**Islam in Russia:The Politics of Identity and Security,** London: M.E.Sharpe,2005,p6

[2] - المصدر السابق، ص 6.

8. تتار الفولغا منذ السيطرة الروسية القيصرية حتى الآن

كما مر معنا فقد أصبحت خانية قازان خاضعة للأمبراطورية الروسية منذ العام 1552م، وعرفت سنوات 1740م-1743م حملة منظمة ضد الإسلام والمسلمين في هذه المنطقة إذ هدم الروس عدد كبير من المساجد وتم إضطهاد المسلمين. وقد انتهج النظام القيصري منذ البداية تجاه السكان الأصليين خطتين:

الخطة الأولى: سياسة "التذويب" أو القضاء التام على ما تبقى من ملاكي الأراضي من التتار باصدار العديد من المراسيم للتضييق بهم وإرغامهم على ترك ممتلكاتهم.

الخطة الثانية: وكانت تسعى على تنصير المسلمين بشتى الوسائل، وقد أخذت هذه الحملات بعداً جديداً في عهد بطرس الأول حيث تقرر إعفاء كل من تنصر من التجنيد ومن أداء الضرائب لمدة ثلاث سنوات.

تزايد الاضطهاد بشكل مثير للإنتباه في عهد الأمبراطورة "أنّا Anna" (1693-1740)، ففي عام 1731 أُحدِثَت "مؤسسة المنصرين الجدد" التي ظلت تعمل طيلة 33 عاماً على إرغام الناس بشتى الوسائل على الدخول في النصرانية. ولقد قام اسقف قازان في

الفترة الممتدة بين عامي 1738 و 1755 بهدم ما لا يقل عن 418 مسجداً من أصل 536 مسجداً كانوا موجودين في المنطقة.[1]

لكن القيصرة "كاترين الثانية" (1762-1796) خففت بعض الشيء من غلواء هذه الحملة وحاولت التقرب من التتار، فقامت باغلاق "مؤسسة المنصرين الجدد" وبالسماح للمسلمين بالسكن في كافة المدن والقرى التتارية وتشييد مسجدين اثنين في قازان. وبعد هذه الاجراءات بثلاث سنوات صدر مرسوم امبراطوري يمنح بمقتضاه المسلمون الحرية الدينية المطلقة في جميع أرجاء البلاد بما في ذلك حرية بناء المساجد والمدارس الدينية، وعُين عام 1782 مفتي لروسيا وفي عام 1788 أسست "الجمعية الروحية للمسلمين".[2] ولا بد من الاشارة إلى أن عهد الامبراطورة كاترين الثانية شكل بالنسبة للمسلمين فترة انفراج واسع وانفتاح كبير اذ قامت نهضة ثقافية اسلامية عارمة فازداد في ذلك العصر اهتمام مختلف الأوساط الثقافية الروسية بالشرق عامة والشرق العربي و الاسلامي خاصة، ففي عام 1782 صدر مرسوم يقضي بتعليم اللغة العربي بجانب اللغتين التتارية والفارسية في الأقاليم الاسلامية وتم ادخال الحرف العربي إلى المطابع الروسية بما فيها

1- Benningsen, A. & Quelquejay Ch., **Les mouvements nationaux chez les musulmans de Russie**, Paris: Mouton, 1960, p . 25.

2- Benningsen, A. & Quelquejay Ch, p . 27.

مطابع مدينة قازان،[1] فنشطت المطابع العربية التي أنتجت كميات هائلة من الكتب الدينية وغيرها بلغات المسلمين المحليين وباللغة العربية. وحسب بعض الاحصائيات فان مطبعة قازان وحدها طبعت في الفترة الممتدة ما بين 1853 و 1859 ما يزيد على 362700 نسخة من القرآن الكريم ومن مختلفف الكتب الدينية كما أنها أصدرت خلال عشر سنوات (من 1854 الى 1864) ما يزيد على مليون كتاب.[2]

وفي عام 1771 أُفتُتِح في قازان مدرستين إسلاميتين هما "أخونوف" و "أبايانف"، وفي عام 1780 أُسست المدرسة العثمانية. وعلى الصعيد الثقافي أنشئ أول مسرح في قازان عام 1791. [3]

وكانت الإمبراطورة كاترين الثانية تسعى من وراء سياسة التسامح مع المسلمين إلى التوسع الروسي نحو الشرق[4] من خلال أمرين هما:

الأول: استقطاب مسلمي الجنوب والحيلولة دون تحالفهم من الأتراك العثمانيين وهم أخوة لمسلمي روسيا في الدين وفي اللغة في كثير من الأحيان.

---

1 - كراتشكوفسكي، ا، **دراسات في تاريخ الاستعراب الروسي**، موسكو: منشورات أكاديمية العلوم للاتحاد السوفياتي، 1950، ص 53.

2- Benningsen, A. & Quelquejay Ch., , p . 25.

3- "Kazan as a city of Russia", Official Millenium Server, **www.kazan1000.ru/eng/histoy/engkazan.htm,** 17.5.2007.

4- الخوند، مج 6، ص 174.

الثاني: وهو اقتصادي ويتمثل في دخول روسيا إلى أسواق آسيا المسلمة التي كانت محرمة على غير المسلمين والتي لم يكن يستطيع التعامل فيها سوى التتار المسلمين من مجموع سكان الإمبراطورية الروسية، ونتيجةً لذلك أصبح رؤساء القبائل التتارية وسطاء يستوردون المصنوعات الروسية إلى مناطقهم ويصدرون منها منتوجات المناطق الإسلامية إلى داخل روسيا.(1)

وقد كان لعلماء الدين المسلمين دور سياسي بارز في خانية قازان بحيث كانت مقاليد الحكم تنتقل مؤقتاً إلى شيخ العلماء في أوقات ما بين العهدين، وقد استمر هذا الحال حتى بعد سقوطها بأيدي الروس، لهذا باءت بالفشل كل الممارسات القاسية التي قام بها القياصرة ورجال الدين الأرثوذكس من تدمير وقمع للإسلام ومظاهره بين تتار الفولغا أو حتى محاولات تنصيرهم بالترغيب والترهيب.(2)

وخلال القرون الثلاثة التالية لسقوط قازان أي حتى نهاية القرن الثامن عشر أخذ دور التصوف الاسلامي في الحياة الإجتماعية والروحية بين تتار الفولغا يزداد. وهو تأثير له من جهة تقاليده التاريخية العريقة ومن جهة أخرى كان رد الفعل المباشر وغير المباشر

---

1 -. Benningsen, A. & Quelquejay Ch., ,p. 28

2 - الجنابي، ص 124-125.

على الفراغ الروحي الذي خلّفه الإحتلال الروسي في المنطقة. فقد أدى التصوف في ظل السيطرة الروسية حينذاك دور الموحد الروحي والوجداني والسياسي لتتار الفولغا.(1)

وحتى وصول الشيوعيون إلى الحكم في روسيا لم يطرأ أي تطور على وضع المسلمين في قازان بإستثناء إنشاء بعض المساجد المهمة والتي ما زال بعضها حتى اليوم وتعد تحفة في الفن المعماري الإسلامي، ومن هذه المساجد: مسجد نورليف ومسجد عظيموف ومسجد المرجاني الذي بني نسبة للعالم المرجاني ومسجد بورنايف.

وفي عام 1917 إنهار الحكم القيصري في روسيا واستلم الشيوعيون الحكم في كل البلاد وأصبحت روسيا دولة شيوعية وملحدة تحارب الدين بما فيها الدين الإسلامي وتحول اسمها إلى "الإتحاد السوفياتي". وقد انعكس هذا الوضع على كل مسلمي روسيا بما فيها مسلمي تتارستان.

وفي 27 أيار 1920م أُعلنت "جمهورية تتارستان الإشتراكية السوفياتية" وعاصمتها مدينة قازان. وفي 20 آب 1990م أعلن مجلس السوفيات التتري سيادة الدولة الإقليمية في ما فسر بأنه إعلان إستقلال. وفي كانون الأول عام 1991 إنهار الإتحاد السوفياتي، وفي

[1]- المصدر السابق، ص 123.

21 آذار 1992م جرى استفتاء في تتارستان حول سيادة الدولة على إقليمها فاقترع 62،4% من المقترعين لمصلحة هذه السيادة. وفي 12 كانون الأول 1993م رفضت تتارستان تنظيم انتخابات برلمانية روسية على أراضيها حو معاهدة الدستور و الإتحاد مع روسيا التي أصبحت تعرف بإسم "الإتحاد الروسي" بعد إنهيار وتفكك الإتحاد السوفياتي. لكن هذا الرفض لم يمر وعادت تتارستان ووقّعت مع موسكو في 15 شباط 1994م معاهدة تعترف بموجبها تتارستان بأنها جزء من الإتحاد الروسي.

9. تاريخ مساجد تتارستان

بدأ ظهور المساجد بدولة بلغار في نهاية القرن التاسع الميلادي وكان في وسط المدينة مسجداً جامعاً. وكان أول شيئ فعله الروس عند احتلالهم خانية قازان هو تدمير المساجد فدمرت في المدن كلها وما بقي إلا القليل منها في القرى البعيدة. ففي سنة 1742م بقي 118 مسجداً فقط، حيث ذكر أحد المؤرخين بأنه لم يبق في مدينة قازان في ذلك الزمن أي مسجد مبني من الحجر بل ما بقي منها كان الخشب الضعيف وذو سقوف تتخللها الأمطار والثلوج التي كانت تنزل على رؤوس المصلين.[1]

وفي سنة 1788م سمحت الحكومة الروسية ببناء المساجد فاستغل التتار هذه الفرصة ووصل عدد المساجد حتى عام 1833م إلى 4785 مسجداً، وفي سنة 1845م وصل عددها إلى 6763 مسجداً. أما عدد المراكز الإسلامية فقد بلغ عام 1889م في مدينة قازان 840 مركزاً ثم زاد عددها حتى وصل 1152 مركزاً عام 1917م. وكان المسؤول الرسمي في هذه المراكز إمام المسجد والذين بلغ عددهم 2648 إماماً والذين كانوا يتسلمون رواتبهم من قبل الحكومة.[2]

---

[1]- **الإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان**، قازان: منشورات الإدارة، 2004، ص 9.
[2]- المصدر السابق، ص 9.

ولكن للأسف الشديد ابتلي مسلمو روسيا عام 1917م ببلاء آخر ألا وهو السلطة الشيوعية التي حدث خلال عهدها تدمير المساجد، فاستفحل هذا الأمر إلى أن أُغلق 574 مسجداً سنة 1939م. وفي سنة 1941م لم يبق إلا 120 مسجداً فقط وحتى هذه المساجد أصبحت فارغة بحيث يخاف الناس من الذهاب إليها.[1]

وبعد سقوط الإتحاد السوفياتي وانهيار الشيوعية في روسيا عام 1991م بدأ العمل من جديد في بناء المساجد في تتارستان، ففي زمن البيروسترويكا عام 1990 كان في قازان مسجد واحد فقط ثم إزداد عددها من 333 سنة 1992م إلى 695 مسجداً عام 1997م. واليوم يوجد في تتارستان حوالي 1200 مسجداً ويوجد الكثير من المدارس الإسلامية المنتشرة في مختل المناطق.[2]

وفيما يلي جدول بمساجد قازان و تاريخ انشائها[3]:

1- المصدر السابق، ص 9.
2- المصدر السابق، ص 9.
3- Hunter, p. 67

اسم المسجد	تاريخ الإنشاء
المرجاني Marjani	1770–1766
أبانايف Apanaev	1771–1766
غالييف Galeev	1801–1798
إسكي طاش Iske Tash	1802–1801
مسجد رقم 11	1805–1801
مسجد رقم 10	1808
المسجد الأزرق	1819–1815
بورناييف Burnaev	1826-1898
نور الله	1849–1845
مسجد السلطان	1867
عظيموف	1890
ترانسكابان Transkaban	1924-1926
نور الإسلام	1988
مسجد بلغار	1993–1991

مسجد رمضان	1994
مسجد الإسلام	1996
مسجد المدينة	1997–1996
مسجد حذيفة بن يماني	1997–1996
مسجد تينيتشليك Tinichlik	1998-1999
قازان نوري	1999

أما مسجد "كول شريف" فهو المسجد الوحيد الذي يعود تاريخه إلى قبل الغزو الروسي، وقد بدأ بترميمه عام 1996 وانتهى عام 2005.

10. تاريخ المؤسسات التعليمية في قازان

عرفت منطقة تتار الفولغا حتى منذ زمن الحكم البلغاري مؤسسات تعليمية كبيرة كان بإمكانها أن تستقبل الطلاب من الدول الإسلامية الأخرى. وعلى سبيل المثال كان من إحدى المراكز التعليمية في خانية قازان مدرسة السيد "كول شريف" الذي ربى فيها المعتنقين الجدد للإسلام والذين استشهدوا فيما بعد كلهم في الدفاع عن مدينة قازان من الغزو الروسي عام 1552م.

وفي ظل الحكم القيصري لتتارستان كان للمدارس دور هام في إعداد طبقة المثقفين والعلماء كما أنها كانت تمثل مراكز هامة لتسليط الضوء على التراث التتري المسلم. وقد فتحت أكبر المؤسسات التعليمية الإسلامية في روسيا وبالتحديد في مدينة قازان في القرن الثامن عشر منها مدرسة "أمير حانة". وفي نهاية القرن الثامن عشر ظهرت المدارس القروية الكبرى خارج مدينة قازان لتعلم أهالي الريف والمناطق النائية مبادئ الإسلام.

وفي منتصف القرن التاسع عشر وصل عدد المدارس الثانوية في قازان إلى 430 مدرسة وعدد المدارس الدينية 57 مدرسة، وكان المستوى التعليمي فيها عالياً جداً. وفي منتصف القرن التاسع عشر كان هناك تغيير جذري في نظام التعليم الديني الإسلامي في المدارس، ونتيجة لذلك ظهرت المدارس ذات الأساليب الجديدة التي كانت تخرج طلاب متخصصين في كثير من العلوم العلوم، ومن هذه المدارس على سبيل المثال: "المحمدية" و "القاسمية". وقد بلغ عدد المدارس في منطقة قازان عام 1905م 840 مدرسة حيث درس فيها 54549 طالباً، وفي عام 1907م وصل عددها إلى 877 مدرسة وعدد طلابها إلى 66787 طالباً، وفي عام 1913م وصل عدد المدارس إلى 967 وعدد طلابها إلى 79496 طالباً. لكن في أثناء الحكم السوفياتي أُغلقت جميع المدارس الدينية و لم يبق لها أي وجود.[1]

وفي سنة 1990م عادت وظهرت المؤسسات التعليمية الدينية في تتارستان والتي قامت بإعداد الأساتذه والمتخصصين في الدين الإسلامي. وأولى هذه المدارس فتحت في مدينة "جيستبول" بإدارة حضرة "عبد الحق ساماتوف". وفي عام 1993م فتحت المدرسة القازانية العالية "المحمدية" والمدرسة الإسلامية القازانية العالية بإسم "1000 سنة

[1]- المصدر السابق، ص 11.

لإعتناق الإسلام"، وتعمل اليوم في جمهورية تتارستان تسع مؤسسات تعليمية إسلامية ذات مستويات متوسطة وعالية.

ومن الأخبار المفرحة عن تتارستان افتتاح الجامعة الإسلامية الروسية في قازان في عام 2000م بتمويل من البنك الإسلامي للتنمية، وقد قرر مجلس الإفتاء وهو من الأعضاء المؤسسين للجامعة جعلها أكبر جامعة في روسيا لاعداد الكوادر العالية المهارة والازمة للعمل في المؤسسات الدينية(1).

1- "افتتاح أو جامعة اسلامية في روسيا"، **جريدة البيان،** 2/أكتوبر/ 2000

المراجع

باللغة العربية:

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد. **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**. تحقيق على المنتصر الكتاني. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1975.

إبن فضلان، أحمد. **رسالة إبن فضلان مبعوث الخليفة المقتدر إلى بلاد الصقالبة: عن رحلته إلى بلاد الترك و الخزر و الصقالبة الروس و اسكنديناقيا في القرن العشر الميلادي، 921–924**، جمع وترجمة وتقديم حيدر ومحمد غيبة. بيروت: الشركة العالمية للكتاب، 1991.

أبو الفداء، المؤيد عماد الدين. **تقويم البلدان**. باريس: دار الطباعة السلطانية، 1820.

الإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان. قازان: منشورات الإدارة، 2004.

إسحاق، عثمان. مقابلة أجراها شعبان عبد الرحمن في مجلة **المجتمع** العدد 1398 بتاريخ 2000/5/2، ص 36–37.

"افتتاح أو جامعة اسلامية في روسيا". **جريدة البيان**. 2/أكتوبر/ 2000.

توتل، فردينان، "المنجد في الأدب والعلوم: معجم لأعلام الشرق والغرب"، في: **المنجد في اللغة والأدب و العلوم**، ط15 بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1956.

الجنابي، ميثم. **الإسلام في أوراسيا**. بيروت: دار المدى، 2003.

الخوند، مسعود. **الموسوعة التاريخية الجغرافية**. بيروت: دار رواد النهضة، 1994.

شاكر، محمود. **التاريخ الإسلامي المعاصر**، مج 21: *المسلمون في الإمبراطورية الروسية*. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي، 1994.

العبودي، محمد بن ناصر. **بلاد التتار والبلغار**. مكة المكرمة: رابطة العالم الاسلامي، 1994.

"العراقيون سبب في دخول الإسلام إلى روسيا". **الفتوى**. عدد تموز، 2000.

كراتشكوفسكي، ا. **دراسات في تاريخ الاستعراب الروسي**. موسكو: منشورات أكاديمية العلوم للاتحاد السوفياتي، 1950.

الموسوعة العربية العالمية. الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1996.

ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله. **معجم البلدان**. بيروت: دار صادر، 1955.

باللغات الأجنبية:

أ- المطبوعة:

Akiner, Shirin. **Islamic Peoples of the Soviet Union: An Historical and Statistical Handbook.** 2nd ed. London: KPI, 1986.

Benningsen, A. "Kazan". **Encyclopedia of Islam**. Leiden: E.J. Brill, 1986, vol 4, p.849-850.

Benningsen, A. & Quelquejay Ch. **Les mouvements nationaux chez les musulmans de Russie**. Paris, Mouton, 1960

Bukharaev, Ravil. **Islam in Russia: the Four Seasons.** Richmond, Surrey: Curzon, 2000.

Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2008. 8rd ed. London: Routledge, 2007.

Frank, Allen. **Islamic Historiography and 'Bulghar' Identity among the Tatars and Bashkirs of Russia.** Leiden: Brill, 1998.

Hunter, Shirin. **Islam in Russia: The Politics of Identity and Security**. London: M. E. Sharpe, 2004.

Yemelianova, Galina M. “Islam and nation building in Tatarstan and Dagestan of the Russian Federation”. **Nationalities Papers,** vol. 27, No. 4, (1999). pp 605-628.

ب- الالكترونية:

“The Bulgar State”. **http:// groznijat.tripod.com/fadlan/ rorlich2.html.** 9/6/2004.

Devlet, N. “Present situation of the Soviet Muslims: The example of Kazan Tatars”, originally published in 1986, summarized and developed by A. Zahoor. **www.cyberistan.org/islamic/tatar.htm.**
17/5/2004

“History of Tatarstan: Volga Bulgaria”.
www.kcn.ru/tat_en/history/h_bulge.html. 17/5/2004

“Islam in Tatarstan”**. www.tatar.ru.** 17/4/2003.

“Kazan as a city of Russia”. Official Millenium Server.
www.kazan1000.ru/eng/histoy/engkazan.htm. 17.5.2007

“Kazan: History of the city”. **www.kazan.ws/cgi-bin/eng/view**. 17/5/2004

Öz Türkler. “Fight with Russians”. **www.ozturkler.com**. 27/5/2004

Öz Türkler. “Idyll (Volga) Bulgarian State: Origin of Bulgarians”. **www.ozturkler.com**. 27/5/2004.

Öz Türkler. “Idyll (Volga) Bulgarian State: Political History”. **www.ozturkler.com**. 27/5/2004.

Öz Türkler. “Idyll (Volga) Bulgarian State: Social and Economic Life”. **www.ozturkler.com**. 27/5/2004.

Öz Türkler. “Kasim Khanate”. **www.ozturkler.com**. 27/5/2004

The School of Russian and Asian Studies. “Kazan”. **www.sras.org/cities.** . 18/5/2004

“Tatarstan: History”. **www.tatar.ru.** 17/4/2003.

Ziyatdinova, Flura. "Historical Memory of the Tatar Ethnic Group". *Internatinal Affairs*, (Jan 1995). **www.tatar.ru**. 18/4/2004.

القسم الثاني

تتار القرم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ماذا نعرف عن تتار القرم؟ سؤالٌ من جملة الأسئلة الحرجة التي نعرف أجوبتها مسبقاً، الجواب وبكل أسف: "لا شيء". لقد أضحى الجهل ببعضنا كمسلمين من الأمور الشائعة والمُسَلّم بها وخاصة إذا انشغل كل منا في محنةٍ مع عدوٍ ظالم أو معتدٍ غاشم، وما أكثر الأعداء والمعتدين.

تتار القرم شعبٌ مسلمٌ تعرض لأبشع أنواع التعذيب والتهجير على يد القياصرة الروس ومن بعدهم السوفيات الشيوعيين، وكاد يفقد هويته الإسلامية التي طالما اعتز بها لولا غيرة وحماس البقية الصامدة منه. فبعد سقوط الشيوعية في الكرملين هب العديد من أفراده يعوض ما فات الأمة من علوم القرآن والحديث والفقه والسيرة النبوية ولجأ إلى

القلم والكتاب والحاسوب في وطنه وفي الخارج يشبع روحه من نِعَم الدين الحنيف التي حاولت أن تطمسته عقود من الكفر والإلحاد.

عُرف تتار القرم بهذا الاسم لاستقرارهم في شبه جزيرة القرم منذ القرن الثالث عشر الميلادي حيث أسسوا هناك دولة في القرن الخامس عشر امتد حكمها حتى عام 1783 حين ضمت روسيا شبه الجزيرة إلى ممتلكاتها. من هم تتار القرم؟ وما هي المِحَن التي واجهتهم؟ وما هو وضعهم بعد سقوط الشيوعية؟ المصادر الإسلامية والعربية التي تجيب على هذه الأسئلة نادرة وقليلة، فكان لا مناص من اللجوء إلى المراجع الغربية لتقديم عرضٍ تاريخي لهذا الشعب لعل في ذلك مساهمة ولو متواضعة في التعريف به وبماضيه وحاضره. ولكن قبل البدء في ذلك لا بد من إعطاء لمحة سريعة و موجزة عن شبه جزيرة القرم.

خريطة أوكرانيا

1. لمحة عامة عن شبه جزيرة القرم

1.1 الجغرافيا:

تقع شبه جزيرة القرم شمال البحر الأسود وهي تابعة حالياً لدولة أوكرانيا[1]. (أنظر خريطة أوكرانيا في الأعلى).

تبلغ مساحة شبه الجزيرة حوالي 27 ألف كلم مربع ويربطها برزخ بركوبPerekop مع البر الأوكراني من ناحية الشمال بطول 30 كلم وبعرض 8 كلم فقط. أما من الشرق

[1] أوكرانيا هي إحدى جمهوريات الإتحاد السوفياتي السابق اذ انفصلت عنه عام 1991، تقع في شرق أوروبا ويحدها من الشرق روسيا و من الشمال بيلاروسيا و من الغرب كل من بولندا و سلوفاكيا و هنغاريا و ورمانيا و مولدافيا، و من الجنوب بحري آزوف و الأسود. عدد سكان أوكرانيا حوالي 46 مليون نسمة معظمهم من الارثوذكس وينتمون على العرق السلافي، واللغة الرسمية هي الأوكرانية القريبة من اللغة الروسية . عاصمة البلاد مدينة كييف (راجع الخريطة).

فيحدها بحر آزوف Azov و مضيق كيرتشKerch الذي يفصلها عن روسيا (أنظر خريطة شبه جزيرة القرم في الأسفل).

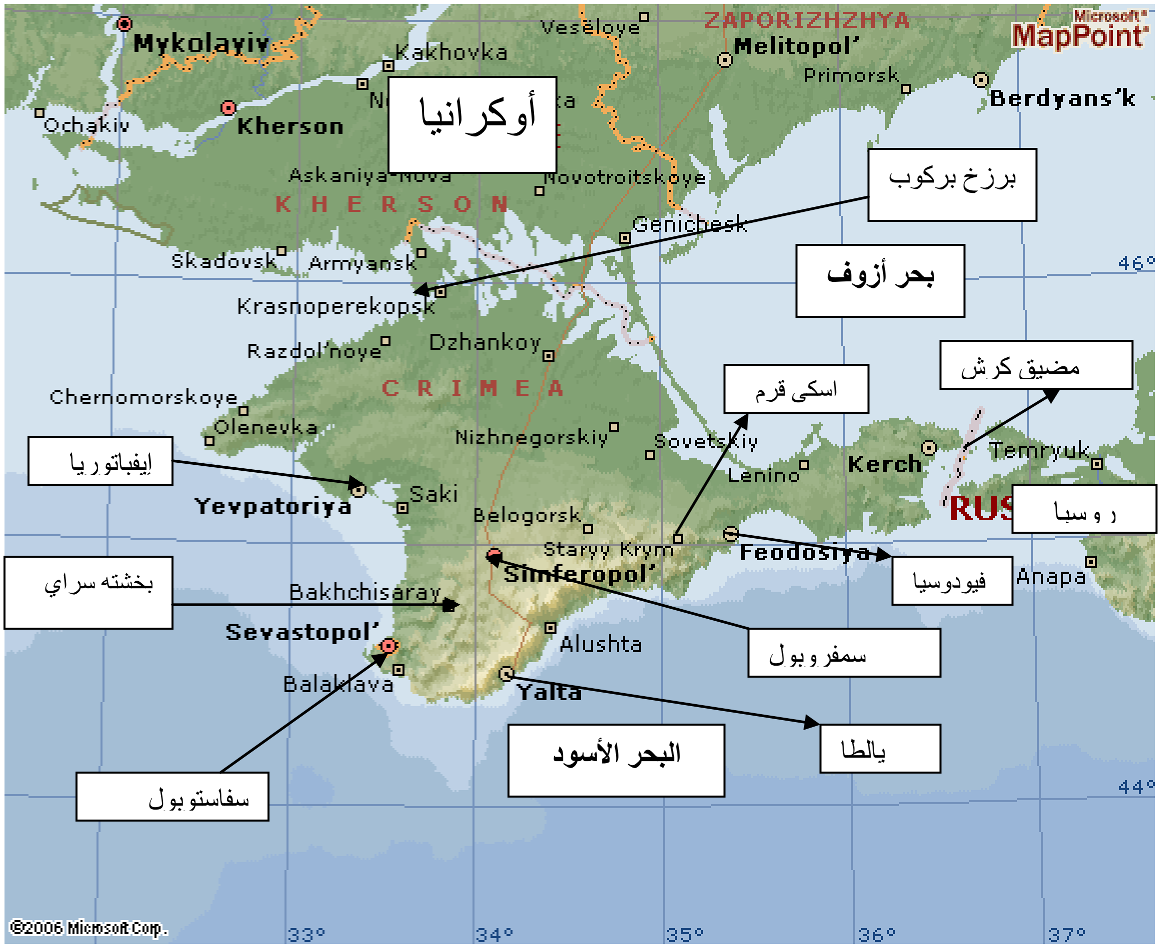

خريطة شبه جزيرة القرم

تغطي السهول أكثر من ثلثي شبه الجزيرة و تقع بشكل أساسي في الشمال و الوسط، أما في الجنوب فتمتد سلسلة جبال تنحدر بشكلٍ حاد نحو البحر الأسود. المناخ معتدل نسبياً و في جنوبها يتشابه مع مناخ البحر الأبيض المتوسط.

أهم المدن[1]: "سيمفروبول Simferopol" (بلغ عدد سكانها عام 2005 حوالي 341,599 نسمة)[2] وهي العاصمة الإقليمية لشبه الجزيرة وتعرف باسم "آق مسجد Ak Mesjid" باللغة التترية، ومدينة "سفاستوبول Sevastopol" أو "آقيار Akyar" بالتترية (بلغ عدد سكانها عام 2005 حوالي 340,353 نسمة)[3] وهي ميناء حربي هام جداً. أما مدينتي "يالطا" (بلغ عدد سكانها عام 2005 حوالي 80,140 نسمة)[4] و "إفباتوريا Evpatoria" أو "غوزليفGozlev" بالتترية (بلغ عدد سكانها عام 2005 حوالي 106,250 نسمة)[5] فهما من أهم المراكز السياحية على البحر الأسود. أما مدينة "فيودوسيا Feodosiya" التي تقع في شرق شبه الجزيرة وتدعى أيضاً "كفا" فهي ميناء حيوي على البحر الأسود ومحطة هامة لسكك الحديدية (بلغ عدد سكانها عام 2005 حوالي 106,250 نسمة)[6]. ولا يفوتنا أن نذكر مدينة "بخشه سراي Bakhchesaray"

---

[1] راجع خريطة شبه الجزيرة.

[2] "Ukraine", **http://www.citypopulation.de/Ukraine.html#Stadt_gross**, 23/6/2006.

[3] المصدر السابق.

[4] المصدر السابق.

[5] المصدر السابق.

[6] المصدر السابق.

العاصمة القديمة لتتار القرم وتعني بالعربية "قصر الحدائق" ويسكنها الآن حوالي 30,000 نسمة فقط.(1)

لا يوجد إحصاء دقيق عن عدد سكان شبه جزيرة القرم وتوزيع قومياتهم وأديانهم، إلا أن "مركز أبحاث تركستان وآذربيجان و القرم و القوقاز و سيبيريا (SOTA)"(2) يفيد أنه بلغ عدد سكان شبه الجزيرة حسب إحصاء عام 1991 حوالي 2,550,000 نسمة، 65% منهم روس و 22% أوكرانيين و 10% فقط من التتار والباقي يتوزع بين أرمن و بيلاروس و يونان و ألمان ويهود.(3) ومن ناحية أخرى يذكر مرجع بريطاني أنه بلغ عدد سكان شبه جزيرة القرم في الأول من تموز من عام 2007 حوالي 1,974,181 نسمة بالإضافة إلى 378,970 نسمة يقومون في العاصمة الاقليمة مدينة سيفاستبول،(4) أما نسبة توزيع السكان حسب القوميات طبقاً للاحصاء الرسمي لعام 2001 فهي كالآتي: 58% روس، 24% أوكرانيين و 12% تتار.(5)

---

[1] "UkrTravel", **http://www.ukrtravel.com/bakhchisaray/main.htm,** 23/6/2005.

[2] يتواجد هذا المركز في مدينة هارلم بهولندا و هدفه تعريف العالم الغربي بتاريخ و حضارة و لغات شعوب الاتحاد السوفياتي السابق.

[3] SOTA. "The Crimea"., **www.euronet.nl/users/sota/krimgeo.html,** 6/2/2001

[4] هو:

Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2008, 8rd ed. London: Routledge , 2007, p.575.

[5] "All Ukrainian Population Census 2001", **www.ukrcensus.gov.ua/eng/results/general/nationality/**, 2/2/2007.

1.2 الاقتصاد:

تعيش الحالة الاقتصادية الحالية للقرم أزمة حقيقية نتيجة ضعف الإنتاج والتضخم وارتفاع البطالة مما أدى إلى تدهور دخل الفرد لدى قطاع كبير من سكان القرم. وحسب دراسة قامت بها لجنة البرلمان الأوروبي عام 2000 فإن نسبة البطالة لدى تتار القرم هي 60% (حوالي ضعف نسبة البطالة في كل شبه جزيرة القرم) و 50% منهم فقط ينعمون بمساكن لائقة؛ و تضيف هذه الدراسة أنه من أصل 291 مستوطنة تترية في شبه الجزيرة هناك 25% منها بدون كهرباء و 70% من دون ماء و 90% بلا طرق معبدة و 96% لا يصلها الغاز وجميعها لا تحوي على مصارف صحية.[1]

يعتبر قطاعي السياحة والزراعة من أهم القطاعات الاقتصادية تطوراً في القرم ويعمل في قطاع السياحة ما يقارب 30 % من السكان كما يوجد في القرم حوالي 636 مؤسسة سياحية (مخيمات للأطفال، فنادق، أماكن للراحة العلاجية)، أما عدد المؤسسات الزراعية فيبلغ 377. أهم المحاصيل الزراعية : القمح والقطن والتبغ والفواكه، ومن الناحية الصناعية تعتبر الصناعات الكيميائية، الغذائية، النفط، الغاز، الصناعات

[1] International Committee for Crimea, “Crimean Tatars and the Ukrainian state”, **http:// www.iccrimea.org/scholarly/oshevel.html** 24/5/2006.

الخفيفة وصناعة المعدات الزراعية من أهم القطاعات الصناعية في شبه جزيرة القرم.[1] وهناك صناعة التعدين في منطقة "كيرتش" في الشرق حيث توجد كميات كبيرة من الحديد الخام،[2] كما تتواجد كميات من احتياطي النفط والغاز الطبيعي في المناطق المحاذية لبحري الأسود و آزوف. أما النسبة المئوية من حجم الإنتاج فهي كالآتي:

39,9 % الصناعة الغذائية

17,1 % الصناعات الكيميائية – النفطية

11,1 % صناعة السيارات والحديد

10,2 % الصناعة النفطية

4.9 % الطاقة الكهربائية

1,1 % الصناعات الخفيفة

2,7 % الصناعات الحديدية

ويعمل في القرم ما يقارب 890 مؤسسة بناء حسب إحصائيات 1998م. [3]

---

1 اتحاد المنظمات الاجتماعية في أوكرانيا (الرائد)، " دراسات: مسلمي القرم"، **http://www.arraid.org/index.php?r=9&s=3&lang=ar** ، 2006/6/23.

2 SOTA. "The Crimea"., **www.euronet.nl/users/sota/krimgeo.html,** 6/2/2001

3 اتحاد المنظمات الاجتماعية في أوكرانيا (الرائد)، " دراسات: مسلمي القرم"، **http://www.arraid.org/index.php?r=9&s=3&lang=ar** ، 2006/6/23.

1.3 الوضع السياسي الحالي

شبه جزيرة القرم اليوم جمهورية تابعة لدولة أوكرانيا وتتمتع باستقلال ذاتي يكفل لها إجراء الاستفتاءات الشعبية والتصرف بالميزانية الممنوحة من الحكومة المركزية في العاصمة كييف Kiev والاهتمام باللغات والثقافات المحلية والمساهمة في تطوير برامج عودة المبعدين الذين هُجروا خلال العهد السوفياتي.[1]

ويتركز اهتمام تتار القرم اليوم حول ثلاث مطالب قانونية[2]:

أولا، الاعتراف بهم كمجموعة محلية ووطينية في شبه الجزيرة وليس كأقلية قومية،

ثانياً، إعتبار عملية الابعاد التي جرة عام 1944 عمل إبادي،

ثالثاً، إصدار تشريعات لتحسين أوضاعهم.

ومن جهة أخرى تعتر شبه جزيرة القرم مركزاً لاعاقة أي تقارب او اتفاق بين أوكرانيا من جهة و الولايات المتحدة وحلف شمال الاطلسي من جهة أخرى[3] حيث احتج متظاهرون عام 2006 على زيارة قام بها المارينز لمرفأ "فيدوسيا" للقيام بتمارين عسكرية مشتركة بين أوكرانيا وحلف شمال الأطلسي.

---

[1] **The Europa World Yearbook 2005**. 46th ed., London: Europa Publications, 2005, v.2. pp. 4408-4409.
[2] **Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2008**, p.541.
[3] المصدر السابق ص 541.

2. أصل تتار القرم

استُعمِلت كلمتي "تتار" و "مغول" خلال القرون الوسطى بشكلٍ اعتباطي وغير دقيق حيث أحيلت كل منهما إلى الأخرى للدلالة على الشعوب الآسيوية القاطنة في شرق ووسط آسيا.[1] وقد أُطلق اسم "التتار" على عدة قبائل بدوية من الشعوب التركية تسكن شمال جبال آسيا الوسطى وتشمل أنحاء من سيبيريا وتركستان وبعض المناطق المجاورة لشمال الصين والتي تختلف حياتها عن حياة الشعوب المستقرة في الصين وهذه القبائل تشمل "الكبشاك" و "البشنغ" و "الخزر".[2] واسم "تتار" مشتق من كلمة "تاتا" التي أطلقها الصينيون في العصور الوسطى على أحد القبائل المغولية التي سكنت في القرن الخامس الميلادي شمال شرق ما يسمى اليوم بدولة منغوليا،[3] وكانت هذه القبيلة من أوائل المحاربين الذين اشتركوا في غزوات جنكيز خان واتسع مدلول هذا الاسم فشمل المغول أنفسهم.[4] وهكذا فأن أصل تتار القرم يعود إلى الشعوب التركية في شرق

---

[1] لمزيد من المعلومات عن هذا الإلتباس بين الاسمين راجع:
Barthold, W, “Tatar”, **The encyclopaedia of Islam : a dictionary of the geography, ethnography biography of the Muhammadan peoples**, ed. by M.Th. Houtsma ... [et al.], Leiden, The Netherlands : E.J. Brill, 1927-1934, v.8, pp. 701.

[2] عطية الله، أحمد، **القاموس الإسلامي**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1963، مج 1، ص 440.

[3] “Tatars”, HighBean Encyclopedia**, http://www.encylopedia.com/html/t/tatars.asp**, 13/7/2006.

[4] عطية الله، مج 1، ص 440.

ووسط آسيا والتي انخرطت في جحافل القائد المغولي جنكيز خان[1] خلال زحفه على آسيا و أوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي.

[1] - "خان" تعني "حاكم" باللغة التترية.

3. اعتناق تتار القرم الإسلام

وفي أواسط القرن الثالث عشر الميلادي أنشأ "باتو خان" أحد أحفاد جنكيز خان إمبراطورية واسعة عُرفت باسم "القبيلة الذهبية" امتدت من تخوم الصين الغربية والشمالية حتى أوروبا الشرقية وروسيا مروراً بشبه جزيرة القرم التي انتزعتها عام 1239 من البيزنطيين،[1] وقد اتخذ باتو خان مدينة "سراي"[2] عاصمة له، ودُعيت هذه الإمبراطورية بهذا الاسم لأن خيام معسكراتهم كانت ذات لون ذهبي.[3]

اعتنق تتار القبيلة الذهبية ديانات متعددة من أبرزها الشامانية (وهي ديانة بدائية انتشرت في آسيا الوسطى) بالإضافة إلى انتشار اليهودية والمسيحية والبوذية والطاوية الصينية فيما بينهم. وفي عهد بركه خان (1257–1267)، الذي اعتنق الدين الإسلامي على يد

---

[1] Spuler, B. “Kirim”. **Encylopedia of Islam**. Leiden: E. J. Brill, 1986, v.5, p.136.

[2] - من الأرجح أنها كانت تقع على الحوض السفلي لنهر الفولغا على بعد 120 كلم شمال مدينة أستراخان.

[3] - محمود، شفيق جاسر أحمد، "محاولات التحالف بين المغول و الصليبيين ضد المسلمين في القرنين السابع و الثامن الهجريين و آثارها"، **http://www.iu.edu.sa/Magazine/75-76/3.doc**، 6/2/2001

أحد التجار، بدأ الإسلام يتغلغل إلى مناطق القبيلة الذهبية[1] حتى أصبح الدين الرسمي في هذه الإمبراطورية في مطلع القرن الرابع عشر.[2]

وفي عام 1287 شهدت شبه جزيرة القرم إنشاء أول مسجد فيها وذلك في مدينه سلخات Solkhat (وتدعى أيضاً "ستاري قرم" أو "إسكي قرم" Eski Kirim أي القرم القديمة)[3] برعاية سلطان مصر المملوكي بيبرس،[4] مع العلم أن الجنويين (نسبةً إلى مدينة جنوا في إيطاليا) الكاثوليك بدؤوا بالوصول إلى شبه جزيرة القرم ابتداء من عام 1261 وشرعوا في تأسيس مستعمرات في جنوبها. لكن الدين الحنيف لم ينتشر بشكل واسع بين تتار القرم إلا بعد تبوأ "أوزبك" خان الذي حكم القبيلة الذهبية بين عامي 1313 و 1340[5] والذي بنا مسجد ثاني في شبه الجزيرة، ففي عهده تأصل الوجود الإسلامي السني الحنفي المذهب في نفوس التتار بما فيهم تتار شبه جزيرة القرم التي شهدت موجات من التأثير الإسلامي الآتي من مصر المملوكية. [6]

وقد زار الرحالة المسلم ابن بطوطة هذه البلاد في تلك الفترة فقال عن أوزبك خان:

---

[1] Paskoy, H. B. *Crimean Tatars*, **www.euronet.nl/users/sota/Paskoy14.html** , 6/2/2001.
[2] "Golden Horde, Empire of the", **The Columbia Encyclopedia**, Sixth Edition, 2001-05, **http://www.bartelby.net/65/go/GoldenHE.html,** 26/6.2006.
[3] لمعرفة موقع هذه المدينة راجع الخريطة في مقدمة الكتاب.
[4] Fisher, Alan. "Crimean Khanate". **The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World**. John L. Esposito, editor in Chief . New York: Oxford University Press, 1995, v.1, p. 328.
[5] Paskoy, H. B. *Crimean Tatars*, **www.euronet.nl/users/sota/Paskoy14.html** , 6/2/2001.
[6] Spuler, B., v.5, p.136.

"واسمه محمد أوزبك ومعنى خان عندهم السلطان و هذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشأن رفيع المكان قاهر لأعداء الله أهل القسطنطينية العظمى مجتهد في جهادهم، وبلادهم متسعة ومدنه عظيمة منها الكفا[1] والقرم[2]... وهو [أي السلطان] أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا و عظماؤها وهم مولانا أمير المؤمنين ... وسلطان مصر والشام وسلطان العراق و السلطان أوزبك هذا وسلطان بلاد تركستان وما وراء النهر و سلطان الهند و سلطان الصين."[3]

وفي وصفه لمدن شبه جزيرة القرم يقول:

"... وصلنا إلى مدينة الكفا وهي مدينة عظيمة مستطيلة على ضفة البحر يسكنها النصارى وأكثرهم الجنويون... ونزلنا منها بمسجد المسلمين. ولما نزلنا بهذا المسجد أقمنا به ساعة ... وطفنا بالمدينة فرأيناها حسنة إلا الأسواق وكلهم كفار ونزلنا إلى مرسا[ها] فرأينا مرسا عجيباً به نحو مائتي مركب ما بين حربي وسفري صغيراً وكبيراً وهو من مراسي الدنيا الشهيرة، ثم اكترينا [أي استأجرنا] عجلة وسافرنا إلى مدينة القرم وهي مدينة كبيرة حسنة من بلاد السلطان المعظم محمد أوزبك خان وعليها أمير من قِبله اسمه تلكتمور ... ولقيت بهذه المدينة قاضيها الأعظم شمس الدين السائل قاضي الحنفية ولقيت بها قاضي الشافعية وهو يسمى بخضر ... والشيخ الحكيم الصالح مظفر الدين وكان من الروم فأسلم وحسن إسلامه".[4]

---

[1] تسمى اليوم "فيودوسيا Feodosiya" و تقع في شرق شبه الجزيرة (راجع الخريطة في مقدمة الكتاب).

[2] يقصد مدينة "اسكي قرم". (راجع الخريطة في مقدمة الكتاب).

[3] **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار**.القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1938. مج 1، ص: 212-213.

[4] المصدر السابق، ص: 206-207.

4. شبه جزيرة القرم خلال فترة حكم القبيلة الذهبية

عين حُكام القبيلة الذهبية مُمَثّلاً لهم في شبه جزيرة القرم دُعِيَ بحاكم أو والي وقد احتفظ هذا الممثل بعلاقاته الدبلوماسية مع المماليك في مصر، وكان للقبيلة الذهبية جيش مرابط في شبه الجزيرة يدير شؤونه أمير.

ظلت شبه جزيرة القرم حتى أواسط القرن الخامس عشر الميلادي قليلة السكان باستثناء المناطق الساحلية لكنها بقيت مركزاً تجارياً هاماً مع مصر المملوكية من خلال وسطاء بيزنطيين، فكانت العطور والأقمشة تأتي من وادي النيل ثم ترسل إلى مناطق مجرى نهر "الفولغا Volga"[1]. كما ازدهرت أيضاً التجارة مع المستعمرات الجنوية في شبه الجزيرة ومع الأناضول و أوروبا الوسطى وصولاً إلى لفوفLvov (التابعة لأوكرانيا الآن) و برسلاوBreslau (Wroclaw) (التابعة اليوم لبولندا). وقد ساعدت هذه الصلات التجارية في جعل شبه جزيرة القرم مخزناً لبضائع التجار السلاجقة والمصريين

---

[1] يقع هذا النهر في روسيا و هو أطول أنهر أوروبا طوله 3700 كلم، ينبع من تلال "فالدي" على بعد 320 كلم حنوب شرقي بطرسبرغ (سانت بيترسبرغ) و يصب في بحر قزوين.

والجنويين مما ولّد تفاعلاً حضارياً مع تلك الشعوب تجلى في العمارة الإسلامية وصناعة الآنية الخزفية. وبالإضافة إلى التجارة، اشتغل تتار القرم في تلك الحقبة بالدباغة واستخراج الملح والعسل وزراعة العنب وتربية الخيول.[1]

عانت القبيلة الذهبية منذ عام 1359 من حروب أهلية فتمكن أمراء مغول من سلالة جنكيز خان من الاستيطان في شبه جزيرة القرم، وفي عام 1419 استطاع أحد هؤلاء الأمراء ويدعى غياث الدين المنتمي إلى قبيلة " كري" أن يستولي على الحكم في شبه الجزيرة ويقضي على منافسيه فيها. وطبقاً للتقاليد المحلية المتبعة هناك أطلق هذا الأخير اسم قبيلته على مولوده فدعاه "حاجي كري" وتحرَّف اسم الأسرة بعد ذلك إلى "غيراي" Giray و بات اسمه حاجي غيراي.[2]

---

[1] Spuler, pp. 136-137.
[2] Inalcik, Halil, “Giray”, **Encyclopaedia of Islam**, new edition Leiden: E.J. Brill, 1965, v.2, p. 1112.

5. شبه جزيرة القرم في عهد أسرة "غيراي"

نتيجةً لتسرب الضعف والتفسخ في القبيلة الذهبية تمكن حاجي غيراي في آب عام 1449 من الخروج عن سيطرة القبيلة الذهبية وإعلان استقلال شبه جزيرة القرم عرفت باسم "خانية القرم"، وبمساعدة العثمانيين ومملكة بولندا-لتوانيا استطاع الخان "حاجي غيراي" من أن يُثبت دعائم دولته من عاصمته في اسكي قرم،[1] كما أقام عام 1454 تحالفاً مع السلطان العثماني محمد الثاني دام حتى مع الخانات الذين أتوا من بعده.[2] توفي حاجي غيراي عام 1466 و نشأ صراعٌ على السلطة بين أولاده، إلا أن ولده "منغلي غيراي Mengli Giray" استطاع الاستئثار بالسلطة لعدة شهور فقط استلم الحكم بعدها أخوه "نور دولت"، لكن منغلي غيراي تمكن من الوصول السلطة مرة أخرى بين الفترة الممتدة من عام 1468 إلى عام 1475 لجأ بعدها إلى مدينة كفا هرباً من أخيه "نور دولت".[3] دام الاستقلال التام لشبه جزيرة القرم حتى عام 1475 حين طلب

---

[1] Spuler, v.5, p. 137.
[2] Inalcik, “Giray”, **Encyclopedia of Islam**, v.2, p. 1112.
v.2. p. 1112.
[3] Kellner-Heinkele, B, “Mengli Giray I”, **Encyclopaedia of Islam**, new edition Leiden: E.J. Brill, 1991, v.6, p. 1016.

تتار القرم المساعدة العسكرية من السلطان العثماني محمد الفاتح لمواجهة الجنويين المتمركزين في جنوب شبه الجزيرة بما فيها مدينة كفا، فلبى العثمانيون نداء "الأخ" المسلم و احتلوا قلاع "العدو" النصراني وألقوا القبض على منغلي غيراي تلبيةً لرغبة الطبقة الحاكمة في شبه الجزيرة، لكن في عام 1478 أطلق العثمانيون سراحه بناءً لاتفاق بين هذه الطبقة والسلطان محمود الثاني[1] ونصّبوا منغلي غيراي حاكماً اسمياً يعترف بسيادة وسلطة السلطان على الأراضي التابعة لأسرة غيراي ومن بينها شبه الجزيرة[2] وعلى السياسة الخارجية وعلى صلاحية تعيين رجال الدين المسلمين في شبه الجزيرة مقابل التزام منغلي غيراي بالمشاركة في الحملات العسكرية العثمانية[3] و إبقاء الحكم وراثياً لآل غيراي.[4] وبالفعل اشترك الخان منغلي غيراي في حملات السلطان بايزيد الثاني في مولدافيا[5] عام 1484 فكافأه العثمانيون بأراضٍ على ضفاف نهري "دنيبر Dnieper" و "دنيستر Dniester"[6] شمال شبه جزيرة القرم. وقد استمرت مشاركة تتار القرم في حروب الدولة العثمانية حتى مع خلفاء منغلي غيراي أيضاً، ففي عام 1538 ساندوا السلطان العثماني في مولدافيا وفي عام 1543 دخلوا لأول مرة مع

---

1 "The Tatar Khanate of Crimea",
http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate, 23/8/2006.

2 Inalcik, "Giray", **Encyclopedia of Islam**, v.2, p. 1112.
v.2. p. 1112.

3 "The Tatar Khanate of Crimea",
http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate, 23/8/2006.

4 Spuler, v.5, p. 137.

5 مولدافيا جمهورية مستقلة كانت تابعة للإتحاد السوفياتي السابق تقع بين أوكرانيا و رومانيا .

6 Kellner-Heinkele, B, v.6, p. 1016.

العثمانيين إلى هنغاريا.[1] وجدير بالذكر أنه لم يكتف العثمانيون بإجبار خان القرم بالمشاركة في حروبهم فقط بل ضموا جنوب شبه الجزيرة إلى الدولة العثمانية وأسسوا في عهد الخان محمد غيراي الثاني (1577–1584) "إيالة[2] كفا" عام 1581 التي خضعت مباشرةً لحكم الباب العالي في استانبول.

ورغم هذه الحماية العثمانية على شبه الجزيرة تمكن الخان منغلي غيراي من التفاهم مع حاكم موسكو الأمير إيفان الثالث Ivan III فاستفاد الأخير من ذلك في حربه ضد مملكة بولندا–لتوانيا بينما جيّر الخان ذلك لمحاربة القبيلة الذهبية.

وكانت القبيلة الذهبية قد بدأت منذ النصف الأول للقرن الخامس عشر بالتفسخ والتفكك إلى عدة دول منها: دولة نوغاي[3] و خانية قازان[4] وخانية القرم وخانية سيبريا وخانية أستراخان[5]. وفي حزيران من عام 1502 هزم منغلي غيراي ما تبقى من الإمبراطورية

---

1 Spuler, v.5, p. 137.

2 الإيالة هي وحدة إدارية في الدولة العثمانية.

3 أنشأ هذه الدولة الخان "أديغو" (توفي عام 1419)، و قد امتدت هذه الدولة من غرب سيبريا حتى القوقاز و كانت عاصمتها مدينة "سرايجك" التي تقع شمال بحر قزوين.

4 تقع مدينة قازان على نهر الفولغا على بعد 720 كلم شرق موسكو، و هي اليوم عاصمة جمهورية تتارستان التي تشكل جزءاً من روسيا الإتحادية.

5 تقع مدينة أستراخان في دلتا نهر الفولغا على بحر قزوين على بعد 1290 كلم جنوب شرق موسكو، ويذكرها إبن بطوطة في كتابه المشار إليه آنفاً صفحة 220 بإسم (ترخان) فيقول: "فوصلنا إلى مدينة ترخان و معنى ترخان الموضع المحرر من المغارم، و المنسوب إليه هذه المدينة هو حاج من الصالحين تركي نزل بموضعها و حرر له السلطان ذلك الموضع فصارت قرية ثم عظمت و تمدنت و هي من أحسن المدن" .

القبيلة الذهبية في موقعٍ شرق مدينة كييف وسيطر على عاصمتها مدينة سراي[1] وأعلن نفسه وريث خان تلك الإمبراطورية بعد أن هرب الأخير إلى لتوانيا، كما أخذ منغلي غيراي على عاتقه الحفاظ على أمن كل من خانتي قازان واستراخان مما وضعة في مواجهةٍ مع موسكو. [2]

وصلت الحياة الفكرية في شبه جزيرة القرم خلال عهد منغلي غيراي إلى أوجها من ناحية الازدهار والتطور، فأقيمت الحلقات الأدبية وفُتِحت البلاد أمام الحضارة الإسلامية والعثمانية وأضحت مكاناً لعمل الكثير من المعماريين المسلمين ولمن تبقى من الجنويين. وخير شاهد على تطور العمارة قصر فخم لمنغلي غيراي في مدينة "بخشه سراي" مقره الجديد بعد نقل العاصمة إليها من مدينة "إسكي قرم".[3]

توفي منغلي غيراي عام 1515 فخلفه ابنه محمد غيراي. لم يمنع الاستقلال الذاتي لشبه جزيرة القرم من قيام خاناتها بغزوات ضد طموحات الروس في إمارة موسكو وفي حوض نهر الفولغا، ففي عام 1521 حاصر الخان "محمد غيراي" موسكو وأخضع حاكمها

---

[1] من الأرجح أنها كانت تقع على الحوض السفلي لنهر الفولغا على بعد 120 كلم شمال مدينة أستراخان.

[2] Spuler, v.5, p. 138.

[3] المصدر السابق ،مج 5، ص 137.

"فاسيلي Vasili" وأجبره على دفع جزية[1]، وفي نفس العام وقّع حلفاً مع لتوانيا و أرسل أخاه غير الشقيق "صاحب غيراي" إلى خانية قازان و نصبه خاناً عليها مكان خانها السابق "شاه علي" الموالي لموسكو. لم يرق هذا الوضع لخان أستراخان الموالي لموسكو، وفي عام 1523 قرر محمد غيراي غزو خانية أستراخان فاستولى عليها بعد أن أطاح بحاكمها فتوحد التتار تقريباً في عهد الخان محمد غيراي الذي اغتيل في خريف ذلك العام على يد أحد أفراد قبيلة "نوغاي".

عمت الفوضى في شبه الجزيرة بعد اغتيال محمد غيراي فاختارت الأرستقراطية هناك غازي ابن محمد غيراي خاناً للبلاد. لم يرض هذا الاختيار الدولة العثمانية فعزلت غازي ووضعت مكانه "سعادت غيراي" عام 1524. [2]

تابع سعادت غيراي سياسة المواجهة مع موسكو كما حافظ على التعاون مع "صاحب غيراي حاكم خانية قازان. وفي عامي 1525 و 1527 شارك سعادت غيراي مع صفا غيراي خان قازان آنذاك في حملات ضد موسكو. إلا أن تلك الحملات أخفقت بسبب تفوق المدفعية الروسية مما أدى إلى قيام ثورة ضده و إجباره على التنازل عن العرش

---

[1] حرب، محمد، **الإسلام في آسيا الوسطى و البلقان**، ط2، بيروت: دار البشائر، 1995، ص 90.

[2] "The Tatar Khanate of Crimea", **http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate,** 23/8/2006.

في ربيع عام 1532. تجاه هذا الفراغ في سدة الحكم قرر السلطان العثماني "سليمان القانوني" إعادة العرش إلى حليفه "صاحب غيراي". لكن تتار القرم قاوموا هذا القرار واختاروا "إسلام غيراي الأول" كحاكمٍ عليهم. لم يستسلم صاحب غيراي لهذا الاختيار وتابع كفاحه للاستيلاء على العرش، فتحقق له مراده بمساندة من قبيلة "نوغاي" وأجبر إسلام غيراي على التخلي عن العرش في أيلول 1532 واستلام الحكم مكانه. في هذه الأثناء استغلت موسكو القلاقل في شبه جزيرة القرم فعمدت إلى القيام بخطوة استفزازية تمثلت في عزل صفا غيراي عن خانية قازان عام 1532 وتنصيب "جان علي" مكانه، فما كان من صاحب غيراي إلا أن قام بغزو قازان عام 1534 بعد أن أخضع استراخان في العام السابق. ومن أستراخان سيطر صاحب غيراي على كل حوض نهر الفولغا تقريباً بعد أن أخضع معظم مناطق القوقاز.[1]

وكان صاحب غيراي قد دخل في حلفٍ عسكري مع مملكة بولندا–ليتوانيا والدولة العثمانية علم 1532 ضد موسكو. وخلال الحملات التي خاضها صاحب غيراي مع خلفائه في الأعوام 1533 و 1535 و 1536 تمكن تتار القرم من تدمير قسم كبير من جنوب مملكة موسكو. وفي عام 1541 شن صاحب غيراي هجوماً عنيفاً على مملكة

[1] “The Tatar Khanate of Crimea”, **http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate**, 23/8/2006.

موسكو، لكن الروس تمكنوا من صد هذا الهجوم وإفشال الحملة العسكرية، ونتيجةً لإخفاق صاحب غيراي استعادت موسكو دورها في قازان من خلال تنصيب "شاه علي" الموالي لها. لكن تدخلاً لاحقاً من تتار القرم أعاد عرش قازان إلى صفا غيراي المعادي للروس الذي بقي بعدها بالحكم حتى عام 1549.

داخلياً أدخل صاحب غيراي عدة إصلاحات في دولته، فحدد من سلطة الطبقة الأرستقراطية وقوّى نفوذ الدولة المركزية التي كانت تحت إدارته مباشرةً بالتعاون مع فرق المشاة الموجودة في الجيش. أما على الصعيد الثقافي فقد رعى الخان تدوين أول حوليات تاريخية للتتار عُرفت باسم **تاريخ الخان صاحب غيراي**، كما انتعش في عهده الشعر وبني العديد من المساجد والحمامات، وفي المجال الإقتصادي طُوِّر مرفأ مدينة "غوزليفGozlev"[1] ليستقل قدر الإمكان عن نفوذ الجنويين في مرفأ مدينة "كفا".[2]

أثارت النزعة الاستقلالية لسياسة الخان صاحب غيراي حفيظة السلطان العثماني سليمان بالرغم من تلبية الخان لكثير من رغبات السلطان كالمشاركة معه في حروبه في مولدافيا عام 1538 وهنغاريا عام 1543 وبولندا عام 1549. وفي عام 1551 قرر

---

[1] تدعى اليوم : "فيودوسيا Feodosiya"

[2] “The Tatar Khanate of Crimea”, **http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate**, 23/8/2006.

السلطان التخلص من صاحب غيراي فأرسل قوة إلى القرم خلعت الخان وقتلته مع عائلته فتسلم الخانية بعد ذلك الخان "دولت غيراي" الموالي للعثمانيين.

في هذا الوقت وبسبب النزاعات الداخلية بين تتار القرم أنفسهم والتفوق العسكري لروسيا بدأ الروس يسيطرون على بلاد التتار إمارة بعد أخرى وخاصة في مناطق حوض نهر الفولغا، ففي عام 1552 استولى القيصر إيفان الرابع الذي عرف أيضاً باسم "إيفان الرهيب" على مدينة قازان، وفي عام 1556 احتل الروس مدينة استراخان فسيطروا بذلك على كل حوض الفولغا وصولاً إلى بحر قزوين مما فتح أمامهم القوقاز و شمال فارس للاستيطان الروسي،[1] كما فقَدَ تتار القرم أعوانهم من التتار الذين يمكن أن ينصروهم في الأوقات العصيبة. حينئذٍ شعر العثمانيون بخطورة الموقف، غير أن هذا الشعور جاء متأخراً فبدأ يضعف أمر الدولة العثمانية ولم يعد بإمكانها القتال على عدة جبهات في آن واحد بينما اشتد ساعد الروس ولم يعد من السهل مقاومتهم. وفي محاولة لاستغلال النزاع بين العثمانيين والصفويين حكام فارس عزم "إيفان الرهيب" على تأسيس حلف عسكري مع شاه إيران "طهماسب الأول" ضد الدولة العثمانية وذلك لمحاربتها وأخذ منطقة القوقاز منها والوصول إلى المياه الدافئة بما فيها شواطئ شبه جزيرة القرم. وفي هذا السياق أرسل القيصر عام 1569 مبعوثاً له إلى مدينة قزوين عاصمة الصفويين

[1] Spuler, v.5, p. 138.

وبحوزته هدية للشاه مؤلفة من 30 مدفعاً و 4000 بندقية، وقد رافق هذا المبعوث 500 عسكري روسي لتدريب وإرشاد الصفويين على استعمال هذه الأسلحة.[1] سُرّ الشاه طهماسب كثيراً بالمبعوث وبالهدية وعرض مساعدة القيصر بكل ما لديه من قوة.

تجاه هذه السطوة الروسية سعى تتار القرم للتحالف مع مملكة بولندا–لتوانيا وزادوا من تعاونهم مع السلطان العثماني تارةً في طلب الحماية منه وطوراً في إرسال حملات عسكرية مشتركة معه ضد أعدائه في أوروبا الوسطى و فارس.

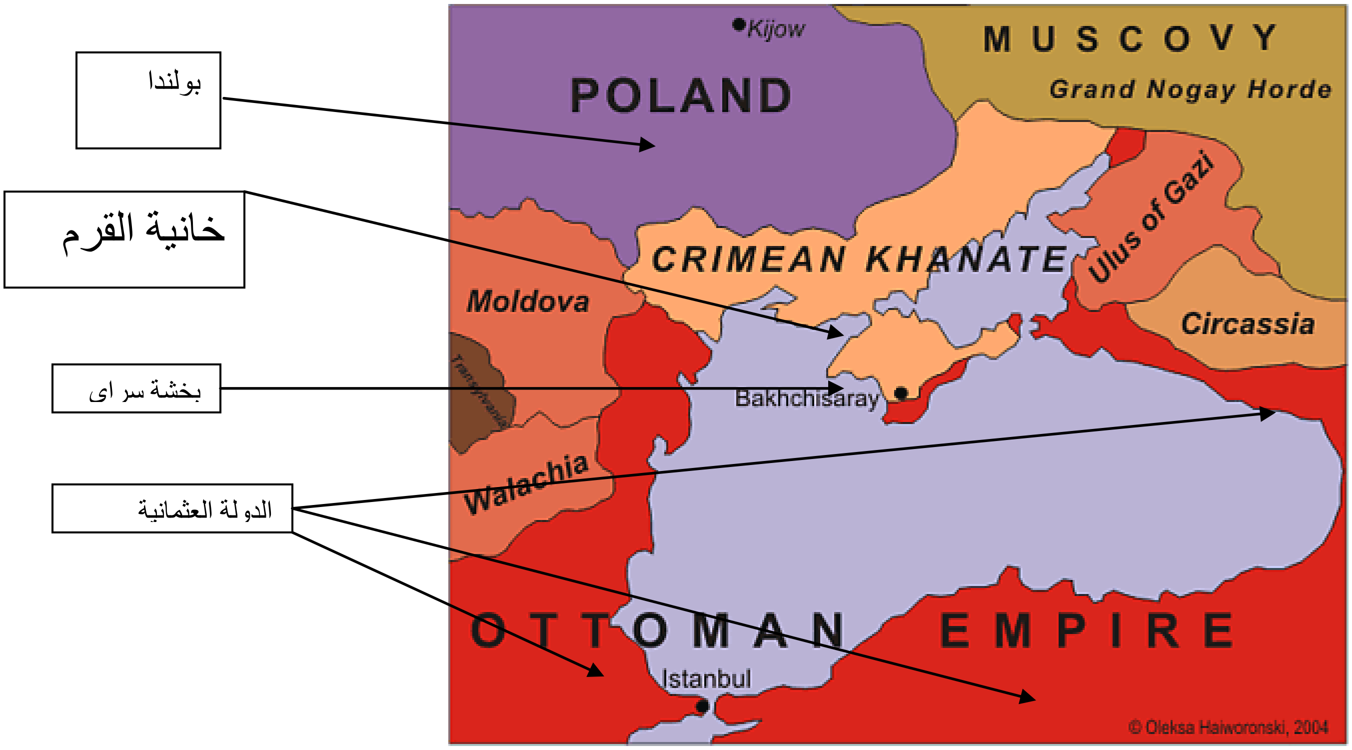

[1] Savory, Roger, **Iran under the Safavids**, Cambridge: Cambridge University Press, 1980, p. 112.

وعلى اثر هزيمة السلطان العثماني في معركة لبانتو Lepanto[1] البحرية عام 1571 تحرر خان تتار القرم "دولت غيراي" من قدر كبير من الوصاية العثمانية، فشن غارات عنيفة على موسكو وأجبر قيصرها على دفع إتاوة انتقاما للأعمال الوحشية التي قام بها الروس ضد مسلمي قازان و أستراخان، وظل الروس يدفعون الإتاوة حتى عهد بطرس الأكبر (1682 –1725).[2] لكن هاتين المدينتين ظلتا في أيدي روسيا مما دفع خانية القرم إلى تعزيز حلفها مع الحكومات الكاثوليكية في بولندا و لتوانيا ضد روسيا الأرثوذكسية. إلا أن النجاح لم يحالف هذه الخانية في مسعاها بسبب التزاماتها العسكرية مع العثمانيين في حربهم ضد الفرس.

توفي دولت غيراي عام 1577 فخلفه ابنه محمد غيراي الثاني بالرغم من معارضة الدولة العثمانية.[3] وفي العام التالي شن الخان الجديد حرباً شعواء ضد الصفويين الفرس رغم انشغالهم بصراع عسكري مع العثمانيين. إلا أن طموحات الخان محمد غيراي الثاني كانت أكبر من أن يكون تابعاً للسلطان العثماني فانتهز هذا الخان فرصة

---

[1] جرت هذه المعركة البحرية في خليج "باتراس" على بعد 50 كلم من مدينة لبانتو التي تدعى اليوم "نافباكوس Navpaktos" في وسط اليونان، و قد دارت رحاها بين الأسطول العثماني من جهة و تحالف دول المسيحية من جهة ثانية ضم الدولة البابوية – إسبانيا – البندقية- جنوا- دوقية سافوي - مالطا.

[2] Spuler, v.5, p. 138.

[3] “The Tatar Khanate of Crimea”, **http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate**, 23/8/2006.

انشغال العثمانيين بحروبهم ضد النمسا و فارس لينتهج سياسة مستقلة عن استانبول، فعزز علاقته مع بولندا وفي عام 1583 رفض إرسال مدد للعثمانيين لمحاربة الصفويين وهاجم الحامية العثمانية في مدينة "كفا" مما جعله في مواجهة مع السلطان العثماني.[1] ونتيجةً لذلك نزل الجيش العثماني على شواطئ شبه الجزيرة وخلع الخان محمد غيراي الثاني ونصب العثمانيون مكانة الخان اسلام غيراي الثاني.

وفي عهد الخان إسلام غيراي الثاني (1584–1588) قويت السيطرة العثمانية على شبه جزيرة القرم[2] وأصبح اسم خانات تتار القرم يُذكر في خطب صلاة الجمعة بعد اسم السلطان العثماني وبات معهم هامشاً من الاستقلال الذاتي يمكنهم من بضرب نقودهم الخاصة ومنح أي شخصٍ من خارج شبه الجزيرة حق اللجوء إليها.[3]

توفي إسلام غيراي الثاني عام 1588 فعين السلطان العثماني "مراد الثالث" خاناً جديداً هو "غازي غيراي الثاني" الذي عُرف باسم "بورا" أي العاصفة. وكان هذا الخان قبل تعيينه القائد العام لقوات القرم المساندة للعثمانيين في حربهم ضد فارس، وفي عام 1580 أسره الفرس إلا أنه تمكن من الهروب وانضم مرةً أخرى إلى العثمانيين، فأعجب

---

1 المصدر السابق.

2 Inalcik, Halil, “Islam Giray”, **Encyclopaedia of Islam**, new edition Leiden: E.J. Brill, 1978, v.4, p. 178.

3 Spuler, v.5, p. 137.

به السلطان مراد الثالث وجعله خاناً على القرم.[1] وبالرغم من كون هذا الخان تابعاً للعثمانيين إلا أنه تمكن من انتهاج سياسة شبه مستقلة عنهم مما منحة ثقة واحترام الطبقة الأرستقراطية في شبه الجزيرة. [2]

وفي عام 1591 فشلت محاولة الخان غازي غيراي الثاني في مهاجمة موسكو بسبب امتلاك الروس للأسلحة النارية، وبعد عامين دارت مفاوضات بين الطرفين انتهت بتوقيع معاهدة سلام امتنع بموجبها تتار القرم عن مهاجمة موسكو مقابل تقديم الأخيرة دفعات منتظمة من الهدايا.[3]

ساند الخان غازي غيراي الثاني العثمانيين في حروبهم ضد النمسا و هنغاريا و بولندا وكان خير منفذ لمصالح السلطان. وفي عام 1596 طلبه العثمانيون لمساندتهم في الحملة ضد هنغاريا لكن الخان رفض هذا الطلب فعمد العثمانيون إلى عزله وتنصيب "فتح غيراي" مكانه، إلا أن الخان تمكن من استعادة العرش بعد شهور مقابل خضوعه الكامل للسلطان، وقد تجلى هذا الموقف في العقدين الأولين للقرن السابع عشر حين

[1] Inalcik, Halil, "Ghazi Giray II", **Encyclopaedia of Islam**, new edition, Leiden: E.J. Brill, 1965, v.2, p. 1046.
[2] "The Tatar Khanate of Crimea", **http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate,** 23/8/2006.
[3] المصدر السابق.

اعتمد العثمانيون في أعمالهم العسكرية على تتار القرم وخاصة في الأناضول و هنغاريا و بولندا و فارس. (1)

مقابل هذا الخضوع للعثمانيين ظهرت أمور إيجابية عديدة على الصعيد الداخلي استفاد منها تتار القرم. فقد ظلت شبه الجزيرة في تلك الحقبة بمنأى عن الهجمات والغارات المعادية فعَّم الأمن والنظام وطُبقت الشريعة الإسلامية في مجالات القانون والأحوال الشخصية وجباية الضرائب، كما وُضعت تجارتي الخيل والعملات الأجنبية تحت إشراف السلطة. ومن جهةٍ أخرى تطور وضع المرأة وأصبحت تشارك أكثر في الحياة العامة والسياسية وحتى في الحملات العسكرية، كما اهتم عدد من النساء بالأدب والشعر. ومع بداية القرن السابع عشر بدأ تأثير الثقافة التركية العثمانية يتجلى في مجتمع تتار القرم وخاصة في مجال اللغة والتعليم حيث أرسل عدد كبير من الحكام أبناءهم لتلقي علومهم ودراستهم في إستانبول.(2)

ومع انحياز القوزاق(3) إلى جانب روسيا عام 1654 أصبحت الأخيرة على تخوم أراضي تتار القرم فشكل ذلك خطراً مباشراً عليهم. إزاء هذا الوضع قام الخان إسلام غيراي

---

1 المصدر السابق.

2 Spuler, v.5, p. 139

3 القوزاق هم محاربون روس دافعوا عن حدود روسيا مقابل إعطائهم استقلال ذاتي في المناطق التي احتلوها في جنوب روسيا و أكرانيا و سيبيريا.

(1644–1654) بالتحالف مع مملكة بولندا–لتوانيا ضد موسكو.[1] فشن الطرفان حروباً مشتركة ضد القوزاق و روسيا و السويد و ترانسلفانيا[2] و براندنبورغ[3] حيث كان كثير من الغنائم و الأنفال ترسل إلى شبه جزيرة القرم، وقد تراوح عدد جيش تتار القرم آنذاك بين 20 و 30 ألف مقاتل. [4] وقد وطّد الخان محمد غيراي الرابع (1654–1666) العلاقات مع ملك بولندا وعقد معه معاهدة تقضي بمنح تتار القرم أي مناطق إسلامية يحتلها الطرفان من روسيا مثل قازان و أسترخان.[5]

انفرط الحلف مع مملكة بولندا–لتوانيا أولاً بسبب عزل محمد غيراي الرابع عام 1666 وثانياً بسبب عقد هدنة بين تلك المملكة و روسيا عام 1667. ومما زاد الطين بله تحسن علاقة السلطان العثماني مع القوزاق وإجباره لعادل غيراي خليفة محمد بالتعاون معهم. وكان القوزاق في ذلك الوقت أعداء لمملكة بولندا–لتوانيا فدب الخلاف بينها وبين تتار القرم.

---

[1] Spuler, v.5, p. 139

[2] ترانسلفانيا Tansylvania هي إمارة كانت في ذلك الوقت تتمتع باستقلال شبه ذاتي ضمن الدولة العثمانية و تقع اليوم غرب رومانيا.

[3] براندنبورغ Brandenburg هي احدى الدول الألمانية الفدرالية التي كانت موجودة قبل انشاء الوحدة الألمانية عام 1871 و تقع اليوم غرب ألمانيا.

[4] Spuler, v.5, p. 140.

[5] المصدر السابق، مج5، ص 139.

وفي عام 1678 تبوأ الحكم في شبه جزيرة القرم خان يدعى "مراد غيراي" فحرر نفسه من التبعية للعثمانيين كما أثار غضب رجال الدين المسلمين عندما حاول استبدال الشريعة الإسلامية بقانون دنيوي وضعة جنكيز خان، بالإضافة إلى ذلك امتنع الخان مراد عن دعم الجيش العثماني في حملته ضد فينا عام 1683؛ فتم خلعه ونفيه إلى بلغاريا.[1]

استغل الروس هذا الوضع المتردي وشنوا حملة عسكرية على شبه جزيرة القرم في عام 1686 ثم أعادوا الكرة في العام التالي. ومنذ ذلك الحين بدأ العد العكسي لانهيار الحكم الإسلامي في شبه جزيرة القرم وقد تعزز بعد أن ازدادت الضغوطات الروسية عليها يضاف إلى ذلك الانتصار الذي حققه التحالف الأوروبي ضد العثمانيين في حرب 1682-1699 وفَشَل الخان "غازي غيراي" الثالث (1704-1707) في تحقيق تعاون مع القوزاق و مملكة السويد.

[1] المصدر السابق، مج5، ص 140.

أعاد الروس الهجوم على شبه الجزيرة عامي 1737 و 1738 فعاثوا في أرضها فساداً ودمروا الكثير من معالمها الحضارية بما فيها معالم مدينة بخشي سراي. وفي عام 1739 تخلى العثمانيون وتتار القرم عن مدينة آزوف[1] لروسيا و بشكل نهائي.

ومع ذلك فإن شبه جزيرة القرم عرفت ازدهارا بعد تلك الفترة بان في إعادة بناء مبانٍ جديدة وفي ترميم قصر الخان في بخشة سراي بالإضافة إلى شق الأقنية والطرق المائية. أما على الصعيد الثقافي فإن أهم حدث برز في تلك الفترة كان إرسال السلطان العثماني لتتار القرم هدية مؤلفة من كتب قيمة. [2]

لم يرح الدب الروسي تتار القرم طويلاً، ففي عام 1771 هاجمت القوات الروسية شبه جزيرة القرم وانقضت على البشر والحجر وقضت على الأخضر واليابس، كما قتلت الجيوش الروسية ما يقارب 350,000 تتري قرمي.[3] حاول الخان سليم غيراي الثالث وقف العدوان لكنه فشل ولم يستطع أن يتلق أي دعم من العثمانيين بسبب انشغالهم بحربٍ مع كاترين الثانية قيصرة روسيا. تقدم الروس في شبه الجزيرة ووصلوا إلى مدينة كفا فهرب الخان إلى استانبول فعين النبلاء التتار "صاحب غيراي" الثاني مكانه. وفي

---

1 تقع على دلتا نهر "دون" المطلة على خليج "تاغانروغ Taganrog" شمال شرق بحر آزوف.
2 المصدر السابق، مج5، ص 140-141.
3 حرب، ص 90.

عام 1774 انتهت الحرب الروسية العثمانية بتوقيع معاهدة "كوتشوك قينارجه" Kutchuk Kaynarji أُلغِيَت بموجبها الحماية العثمانية على شبه جزيرة القرم التي أصبحت دولة مستقلة اسمياً ليس للسلطان عليها من نفوذ إلا سلطته الروحية بوصفه خليفة للمسلمين.[1]

في عام 1777 ساعد الروس شاهين غيراي بالوصول إلى السلطة في شبه جزيرة القرم. وكان شاهين منفتحاً على الأوروبيين ومعجباً بثقافتهم فحاول تقليدهم في نواحي كثيرة ألحق بعضها الأذى بالمسلمين. فنقل العاصمة من بخشه سراي إلى مدينة "كفا" مقتدياً بالروس حين نقلوا عاصمتهم من موسكو إلى بطرسبرغ، واستدعى خبراء من الخارج لتدريب جيشه البالغ عدده 6000 عنصراً، كما أنشأ مجلساً للوزراء مؤلفاً من 12 عضواً وأصدر عملة فضية جديدة أنهكت الدولة فيما بعد بأعباء الديون. لكن أخطر ما فعله كان تدخله في الأوقاف الإسلامية وفي تعويضات رجال الدين المسلمين.[2]

---

[1] **المسلمون في الإتحاد السوفياتي**، تعريب إحسان حقي.، الطبعة 8. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1988، ص 30.
[2] Spuler, v.5, p. 141.

6. فترة الاحتلال الروسي القيصري لشبه جزيرة القرم

استغل الروس في عام 1782 الخلافات الداخلية بين تتار القرم والضعف الناجم عنها واستولوا نهائياً على شبه الجزيرة من دون أي مقاومة تذكر.[1] وفي 9 نيسان من العام التالي أصدرت كاترين الثانية قيصرة روسيا مرسوماً ذا مظهر ليبرالي[2] أعلنت فيه بكل بساطة ضم شبه جزيرة القرم إلى الإمبراطورية الروسية متعهدةً للمسلمين بضمان حقوقهم في أملاكهم و حريتهم المطلقة في ممارسة شعائرهم الدينية وذكر اسم السلطان العثماني بالدعاء له في خطبة صلاة الجمعة في جميع مساجد شبه الجزيرة[3]، ووعدتهم بمعاملة على قدم المساواة مع الروس في الحقوق والواجبات. لكن بدا بعد ذلك أن هذا الوعد لم يكن إلا تضليلاً بدليل ما فعلته الحكومة الروسية في السنوات الأولى من استيلائها على شبه الجزيرة فصادرت خيرة أراضيها ووزعتها على النبلاء الروس تنفيذًا لخطة "الترويس" (أي جعله روسياً) التي انتهجتها وسمحت بتدفق أفواج من المهاجرين الروس

[1] **المسلمون في الإتحاد السوفياتي**، ص 30.

[2] المصدر السابق، ص30

[3] بينينغسن، ألكسندر و شانتال لوميربيه كيلكجاي. **المسلمون المنسيون في الإتحاد السوفييتي**. ترجمة عبد القادر ضللي.بيروت: دار الفكر المعاصر،1989 ، ص 19.

والسلاف واليونان والأوروبيين للعيش في شبه الجزيرة فوجد تتار القرم أنفسهم يخضعون لنظام تعسفي جائر يطردهم من أراضيهم الخصبة، فلم يروا أمامهم إلا سبيلاً وحيداً للنجاة وهو الرحيل الجماعي إلى أراضي الدولة العثمانية وخاصة بعد محاولات الحكومة الروسية تشجيع تتار القرم على الهجرة من ديارهم مما جعل تاريخهم خلال مئة عام ونيف عبارة عن سلسلة طويلة من الهجرة الجماعية تمت في أشد حالات البؤس والتعاسة هلك خلالها الآلاف المؤلفة مرضاً وجوعاً، فانخفض عددهم في غضون قرن من 500,000 نسمة إلى أقل من 200,000 نسمة [1] أصبحوا أقلية في وطنهم أمام كتلة روسية تفوقهم ثروة وسطوة. وجدير بالذكر أنه بعد ضم شبه الجزيرة إلى روسيا هُجِّرت شعوب عديدة غير إسلامية كانت تعيش مع تتار القرم بوفاق وآمان، فتم نقل عدد كبير من اليهود والأقليات المسيحية إلى جنوب روسيا و أوكرانيا واستُبْدِلوا بفلاحين روس و أوكرانيين،[2] كما رُحل عدد كبير من الأرمن مع أساقفتهم إلى مدينة روستوف[3] الواقعة على مقربة من مصب نهر "دون Don" شرقي بحر آزوف (وهي اليوم تابعة لروسيا).

---

[1] Akiner, Shirin, **Islamic peoples of the Soviet Union**, 2nd ed., London: KPI, 1986, p. 88
[2] Fisher, Alan, “Crimean Khanate”, **The Oxford Encyclopedia of Modern Islamic World**. John L. Esposito, editor in chief, New York: Oxford University Press, 1995, v.1, p. 328.
[3] Spuler, v.5, p. 141.

وكان من النتائج غير المباشرة لاحتلال الروس شبه جزيرة القرم أنها أصبحت مرتبطة عضوياً بروسيا وبنزاعاتها وبسياستها الخارجية. ففي عام 1853 اندلعت حرب بين روسيا من جهة والدولة العثمانية و فرنسا و بريطانيا و سردينيا من جهة كان هدفها البعيد إحباط طموحات روسيا في الدولة العثمانية و البلقان. وفي أيلول من عام 1854 قامت القوات البريطانية والفرنسية بعملية إنزال على شواطئ شبه جزيرة القرم وضربت حصاراً حول مدينة سفاستوبول دام عاماً استطاعت بعدها القوات الفرنسية من شن هجوم ناجح استسلمت بعده المدينة. وفي عام 1856 انتهت الحرب بتوقيع معاهدة سلام في باريس، وقد دعيت هذه الحرب بحرب القرم.

بعد حرب القرم عمدت الحكومة الروسية إلى طرد أعداد كبيرة من تتار القرم بحجة انحيازهم إلى الأعداء، وقد استعملت القوة أحياناً لتطبيق هذه الخطة، فهاجر العديد منهم إلى إستانبول وإلى دبروجه[1] على الساحل الشمالي لبلغاريا تاركين أوطانهم وأملاكهم لمن يعبث بها و يغيّر معالمها.

حافظت الطبقة الأرستقراطية الإقطاعية في شبه جزيرة القرم بعد الاحتلال الروسي على جميع حقوقها وامتيازاتها وانخرطت في المجتمع الروسي لتأخذ مكاناً في نظامه الطبقي

[1]Paskoy, p. 3.

من غير أن تُكْره على اعتناق المسيحية مما جعلها مخلصة لعائلة رومانوف الحاكمة و لروسيا نفسها حتى اندلاع الثورة الروسية عام 1917. كما حافظ رجال الدين المسلمون على سلطتهم وقوتهم وثروتهم وباتوا هم أيضاً مؤدين لعائلة رومانوف ومناهضين لكل إصلاح قد يبدد امتيازاتهم.(1)

ومع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وجد مسلمو روسيا أنفسهم أمام تحديات كبيرة نتجت عن التحول الهائل الذي حصل في المجتمعات الغربية مقابل الجمود الفكري في كافة العالم الإسلامي وازدياد القبضة الروسية عليهم. فانصب جهدهم الرئيسي على محاربة الدغماتية (أي التسليم بلا تمحيص) وتجنب أي إعاقة للتقدم وانتشار المعارف والقضاء على الطاعة العمياء للسلطات التقليدية، وكانوا من أوائل المفكرين المسلمين المعاصرين الذين أعلنوا أن لكل مؤمن الحق في أن يبحث في القرآن الكريم والحديث الشريف ليجد الرد على الأسئلة السياسية والاجتماعية كافة. أثارت هذه المواقف مجادلات عنيفة أدت إلى انشقاق عميق في المجتمع الإسلامي، انشقاق كان أصلاً من نوع روحي فقط لكنه سرعان ما أصبح سياسياً شق المسلمين إلى معسكرين متعاديين هما: معسكر الجناح الليبرالي التجديدي الذي عرف فيما بعد بالمجددين ويضم أنصار

[1] بينينغسن و كيلكجاي، ص 20

الإصلاحات الذين انضمت إليهم فيما بعد تكتلات سياسية متعددة تقدمية أو ثورية، وجناح خصوم الإصلاحات الذين تمثل كفاحهم في المنظمات المحافظة.[1]

تأثرت أفكار المجددين بالليبرالية الغربية وبفكرة "الطورانية" التي دعت إليها جمعية تركيا الفتاة في الدولة العثمانية، وكان من أكثر المتحمسين والمؤيدين لهذه الأفكار التتري القرمي إسماعيل غاسبيرالي Ismail Gaspirali الذي عرف باللغة الروسية باسم: غاسبرنسكي Gasprinski. ولد غاسبيرالي عام 1851 في إحدى قرى شبه جزيرة القرم و تعلم في أحد المدارس المحلية التي كانت تدعى "مكتب"، ثم خدم في الجيش الروسي و سافر بعدها إلى الخارج فزار فرنسا و الدولة العثمانية. لدى عودته إلى شبه جزيرة القرم عمل في حقل التعليم و تبوأ بين عامي 1878 و 1882 منصب عمدة مدينة "بخشه سراي" التي أصدر فيها صحيفة "ترجمان Perevodchik/Turjuman" عام 1883[2] وكانت "ترجمان" إحدى أكبر الصحف الإسلامية في تلك الفترة.[3] وبالإضافة إلى الصحافة طرق غاسبيرالي باب الإصلاح التعليمي والتربوي، فوضع منهجاً جديداً للتعليم عُرف باسم "أصول الجديد" قلب من خلاله النظام التعليمي القديم للمسلمين رأساً

---

[1] المصدر السابق، ص: 28

[2] Lazzerini, Edward J. "Gasprinskii, Ismail Bey". **The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World**. John L. Esposito, editor in chief. New York: Oxford University Press, 1995. v. 2, pp. 52-53.

[3] بينينغسن و كيلكجاي، ص30

على عقب في شبه جزيرة القرم أولاً ثم في كل روسيا لاحقاً.[1] وإلى جانب "ترجمان" نشر غاسبيرالي عدة مؤلفات دورية منها "عالم النسوان" و "عالم الصبيان" و "النهضة".[2]

وقعت الحرب الروسية اليابانية عام 1904 وهُزم الروس على يد هذه الدولة الآسيوية فكانت صدمة فادحة لهم حيث نُظر إلى إمبراطوريتهم على أنها ضعيفة ويمكن قهرها، فانبثق الأمل بتحرر الشعوب الخاضعة لروسيا بما فيهم المسلمون، فعُقدت المؤتمرات الإسلامية وتم تأسيس حزب إسلامي سنة 1905 عرف باسم "حزب الإتحاد الإسلامي" ضم جميع مسلمي روسيا بما فيهم تتار القرم. لكن تخاذل الليبراليين الروس في التعاون مع الحزب أحبط جميع مطالبه التي تقدم بها ممثلوه في مجلس الدوما (المجلس النيابي في العهد القيصري)، فانحل الحزب عام 1908 وهاجر العديد من زعمائه إلى الدولة العثمانية.[3]

---

[1] المصدر السابق ص 30

[2] Lazzerini, p. 53.

[3] بيننغسن و كيلكجاي، ص 32

6.1 تأثير الحرب العالمية الأولى على شبه جزيرة القرم

إندلعت الحرب العالمية الأولى في عام 1914 ودخلتها روسيا إلى جانب الحلفاء ضد ألمانيا والإمبراطورية النمساوية–المجرية والدولة العثمانية و بلغاريا. لم تكن مجريات الحرب لصالح الروس الذين عانوا من هزائم وخاصة على الجبهة الألمانية النمساوية، فبدأ التململ بين صفوف الشعب والجيش. وفي تشرين الأول من عام 1917 قامت الثورة الشيوعية بالبلاد وألغيت الملكية، تلتها حرب أهلية بين مؤيدي الشيوعية ومعارضيها. وقد عُرِف الشيوعيون بالبولشفيك أو الجيش الأحمر والمعارضون بالروس البيض.

وفي تموز 1917 اجتمعت جماعات سياسية من تتار القرم في شبه الجزيرة وأسست حزباً سياسياً تحت اسم"ملي فرقة"Milli Firka أو الحزب الوطني بالعربية، وكان مؤسسوه من الشبان المثقفين الذين تلقى أكثرهم علومهم في الدولة العثمانية أو في أوروبا الغربية أمثال "حسن صبري عيواظ" و"أحمد أوزون باشلي" و"علي بودانسكي" و"ولي إبراهيموف". وكانوا كلهم من المثقفين والتقدميين ذوي الميول الاشتراكية والداعين إلى الوحدة مع الدولة العثمانية، كما كان بعضهم مؤيد للبولشفيك مثل بودانسكي و

إبراهيموف. وعلى الرغم من أن جماعة حزب "ملي فرقة" كانوا يكافحون في سبيل استقلال القرم الداخلي فانهم قد أضافوا على برنامجهم السياسي نقاطاً كثيرة مستوحاة مباشرة من الاشتراكية مثل تأميم الوقف والملكيات الكبيرة الخاصة و الكفاح و التعاون مع الاشتراكيين،[1] و قد شكل أعضاء هذا الحزب حوالي ربع سكان شبه الجزيرة.[2]

وكان تتار القرم قد عقدوا في 23 آذار 1917 مؤتمراً وطنياً في مدينة سمفربول انتخبوا خلاله لجنة تنفيذية مسلمة كانت نواة الحكومة الوطنية التي رأت النور في شهر تشرين الثاني من نفس العام[3] ضمت أعضاء من "ملي فرقة"،[4] وقد اعترفت بهذه الحكومة كل من الدولة العثمانية و ألمانيا.[5] وفي ربيع عام 1918 اتصل بعض الأفراد من حزب "ميلي فرقة" ببعض القادة الألمان المتواجدين في شبه الجزيرة كما ناشدوا القيصر الألماني بتأمين الحياد لها.[6]

---

1 **المسلمون في الإتحاد السوفياتي**، ص 120-121.

2 Yemelianova, Galina, **Russia and Islam: A Historical Survey**, New York: Palgrave Macmillan, 2002, p. 107.

3 **المسلمون في الإتحاد السوفياتي**، ص 120.

4 Yemelianova, p. 107.

5 Akiner, p. 88

6 Yemelianova, p. 107.

7. السيطرة الشيوعية على شبه جزيرة القرم

بعد إحكام الشيوعيين قبضتهم على السلطة في روسيا هاجمت وحدات من بحرية البحر الأسود التابعة للبولشفيك ميناء سفاستوبول ومدينة سمفروبول في كانون الثاني عام 1918 و استولت عليها و قضت على الحكومة التترية. لم يرض الألمان عن هذا الوضع فأرسلوا قواتهم إلى شبه الجزيرة واحتلوها في شهر أيار من العام نفسه،[1] وشكّلوا حكومة تترية كان أعضاؤها من جماعة "ملي فرقة" المناهضة للشيوعية.

7.1 انقضاض الشيوعية على شبه جزيرة القرم

انسحب الألمان من شبه جزيرة القرم عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى عام 1918، فطلب حزب "ملي فرقة" الحماية من البريطانيين والفرنسيين واتصل بالروس البيض. وكان لهذا الاتصال وقع سيئ على نضال الشعب التتري القرمي إذ نتج عنه انشقاق حزب "ملي فرقة" إلى أجنحة متناحرة فتعاون بعض أفراده مع البولشفيك ونظموا المكتب الإسلامي التابع للحزب البولشفي في القرم برئاسة ولي إبرهيموف.[2] وفي شهر نيسان

---

[1] Paskoy, p. 4

[2] Yemelianova, p. 107.

عام 1919 احتل الروس الشيوعيون شبه جزيرة القرم وأسسوا فيها "مكتب مسلمي القرم" الذي كان بمثابة حكومة شكلية هدفها إدارة أمور الشعب التتري. لكن المكتب رفض كل العروض التي قدمها حزب "ملي فرقة" للتعاون في المشاركة بالحكم. [1]

بعد شهر من الغزو الشيوعي هاجم الروس البيض شبه الجزيرة وانتزعوها من البولشفيك وأعادوا الكثير من الأوضاع إلى ما كانت سارية عليه أيام العهد القيصري كما حظروا نشاط حزب ملي فرقة، فما كان من الأخير إلا أن تحالف مع البولشفيك لطرد البيض.[2] وفي تشرين الأول من عام 1920 احتل البولشفيك شبه جزيرة القرم نهائياً وقد ساندهم في ذلك حزب "ملي فرقة" الذي عاد للظهور ثانيةً بعد اندحار البيض، وقد انضم أعضاؤه إلى الحزب الشيوعي الروسي.[3]

وجدير بالإشارة إلى أن الحكومة البلشفية كانت قد نقلت العاصمة إلى موسكو وغيرت اسم البلاد إلى "الاتحاد السوفياتي" الذي تألف من جمهوريات سوفياتية مستقلة ذاتيا ومنها جمهورية القرم السوفياتية الاشتراكية المستقلة ذاتياً تم تأسيسها في تشرين الثاني 1921 شكّل التتار 25% فقط من سكانها. ويعتبر هذا الحدث من أهم المفاصل

---

[1] Paskoy, p. 4

[2] المصدر السابق، ص 4

[3] بينينغسن و كيلكجاي، ص 42.

التاريخية لشبه الجزيرة إذ أحكم الشيوعيون سيطرتهم عليها و سعوا إلى نشر أفكارهم فيها، فهرب الكثير من زعماء تتار القرم إلى الخارج و خاصة إلى تركيا.

7.2 شبه جزيرة القرم خلال العهد السوفياتي

استطاع "ولي إبراهيموف" الذي كان رئيساً للجنة المركزية للحزب الشيوعي ولمجلس الوزراء في شبه الجزيرة أن يواصل جهود الحكومة التترية التي تأسست قبل اندلاع الثورة الشيوعية. فألف حكومات معظم أعضاؤها من حزب "ملي فرقة" وأعاد فتح المدارس والصحف التترية، كما أصبحت اللغة التترية اللغة الرسمية إلى جانب الروسية.

وفي نهاية العشرينيات شن الشيوعيون عملية تطهير في شبه جزيرة القرم ضد أعضاء "ملي فرقة" القدامى فألقي القبض على ولي إبراهيموف وأُعدِم عام 1929 بتهمة التجسس والقيام بأعمال مضادة للثورة. وعقب إعدامه امتدت حملة التطهير لتشمل المفكرين التتار فهلك فيها عدد كبير ممن انضموا إلى النظام السوفياتي أمثال حسن صبري عيواظ. واستُبدِلت القيادات التترية في المدارس والجامعات والصحف بأخرى شيوعية من روسيا و أوكرانيا. كما فرضت الأبجدية الروسية على اللغة التترية بعد أن كانت تُكتب

بالأبجدية العربية واللاتينية وأُدخلت كلمات روسية على اللغة التترية وحذفت أُخرى تركية.

طالت حملات التطهير رجال الدين المسلمين أيضاً، فنُعِتوا بالطفيليين والرجعيين والمعادين للثورة ونُفِيَ عدد كبير منهم إلى سيبريا و آسيا الوسطى. وفي خطوة لنشر وتشجيع الإلحاد عمد الشيوعيون إلى إغلاق عدد كبير جداً من المساجد والمدارس الدينية وأحرقوا المصاحف وأنشأوا أحزاب وروابط إلحادية هدفها إبعاد تتار القرم عن الله وعن الدين. وقد ساعدت الحكومة المركزية في موسكو هذه الأحزاب حتى بلغ عدد المنضويين تحتها عام 1932 حوالي 42000 شخص بعد أن كان 30000 شخص عام 1931.[1]

وفي خطٍ موازٍ لحملات التطهير اتجه الشيوعيون عام 1928 إلى جعل شبه جزيرة القرم موطناً ليهود روسيا، ولما احتجت حكومة القرم أَعدم رئيس جمهوريتها وأعضاء حكومته ونفي أربعون ألف مسلم إلى مجاهل سيبيريا.[2]

---

[1] Paskoy, p. 5.

[2] المصري، جميل عبد الله محمد، **حاضر العالم الإسلامي و قضاياه المعاصرة**، الطبعة الثامنة معدلة و منقحة و مزيدة، الرياض، مكتبة العبيكان، 2002، ص 505.

ولم تسلم حتى المزروعات والمواشي في شبه جزيرة القرم من طغيان الشيوعيين. ففي الثلاثينيات أتلف السوفيات مساحات واسعة من الأراضي المزروعة بساتين فواكه قضوا على أعداد كبيرة من المواشي بحجة إنشاء تعاونيات زراعية مما أدى إلى وقوع مجاعة امتدت من عام 1932 حتى عام 1933.[1]

7.3 شبه جزيرة القرم خلال الحرب العالمية الثانية

شهد عام 1939 اندلاع الحرب العالمية الثانية، وكانت ألمانيا النازية و إيطاليا الفاشية و اليابان ضد فرنسا و بريطانيا و بولندا. أما الاتحاد السوفياتي فقد تحالف مع النازيين لتقاسم أوروبا الشرقية. لم يدم هذا التحالف طويلاً لأسبابٍ كثيرة أقلها العقائدية، وفي عام 1941 هاجمت ألمانيا الاتحاد السوفياتي و اندلعت الحرب بينها.

احتل الألمان شبه جزيرة القرم عام 1941 و انقسم التتار هناك بين مؤيدٍ و معادٍ لألمانيا النازية. لكن دكتاتور الاتحاد السوفياتي "ستالين" لم ير إلا المتعاونين مع النازيين فقرر الانتقام منهم ومن كل شبه الجزيرة بعد أن استعادها جيشه عام 1944. فقد أصدر

[1] Pohl, J Otto. *Ethnic Cleansing in the USSR, 1937-1949.* Westport, CT: Greenwood Press, 1999. 6/2/2001, **www. euronet.nl/users/sota/pohlethnic.html**, p. 2

ستالين في 11 أيار 1944 بياناً اتهم فيه تتار القرم بالعمالة والخيانة لذلك فهم يستحقون حسب رأيه العقاب الجماعي ألا وهو نفيهم وإبعادهم إلى آسيا الوسطى وتوطينهم هناك في أماكن خاصة لهم.

7.4 النفي و الإبعاد

بدأت عملية الإبعاد في 18 أيار، فسُمح لكل عائلة بأخذ 500 كلغ فقط من الممتلكات المنقولة، أما الممتلكات غير المنقولة فقد صادرتها الحكومة السوفياتية.(1)

وكانت المأساة الكبرى في عملية الإبعاد حيث هلك الآلاف في القطارات خلال نقلهم بسبب الأمراض والبرد والجوع، وبلغ مجموع ما لقي حتفه خلال خمسة أعوام من عملية النفي حوالي 42000 تتري قرمي.(2) هذا بالإضافة للذين ماتوا خلال وصولهم إلى المستوطنات في صحارى أوزبكستان نتيجةً للأحوال الصحية الرديئة وقلة المياه العذبة وتفشي الأمراض. وعند وفاة ستالين عام 1953 بلغ مجموع ما أُبعد ووصل سالماً إلى آسيا الوسطى من تتار القرم حوالي 165259 شخص(3) من أصل ما يقارب 238000

---

[1] Pohl, p. 6

[2] المصدر السابق، ص 6.

[3] Pohl, *Ethnic Cleansing in the USSR, 1937-1949* p. 7

تتري هجروا من شبه الجزيرة.[1] وفي تشرين الثاني من عام 1945 ألغيت رسمياً جمهورية القرم السوفياتية وأصبحت مجرد منطقة تابعة للجمهوريات الاشتراكية الفيدرالية السوفياتية المتحدة. وفي شباط 1954 ألحقت شبه جزيرة القرم بجمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوفياتية.

جلب وفاة ستالين بعض الليبرالية الخفيفة للحكم السوفياتي وقد تسامح النظام الجديد مع تتار القرم المنفيين في آسيا الوسطى لكنه استمر في اعتبارهم خونة حتى عام 1967 لكن لم يسمح لهم بالعودة إلى وطنهم في شبه الجزيرة.

وفي عام 1985 أُنتُخِب "مياخائيل غورباشِف Mikhail Gorbachev" رئيساً للإتحاد السوفياتي فعمد عند تبوئه الرئاسة إلى إطلاق برنامجه الإصلاحي في البلاد الرامي إلى الانفتاح أو "غلاسنوست Glasnost" والاعمار والتنمية الاقتصادية أو "بِرِسترويكا Perestroika"، فكان من نتيجة هذه الإصلاحات التي قام بها "غورباتشف" أن تحركت الجهود الرامية إلى عودة تتار القرم إلى ديارهم. وبالفعل فقد عاد في أواخر

[1] بينينغسن و كيلكجاي، ص 142.

الثمانيات وأوائل التسعينيات ما يعادل 300000 تتري[1] وقد فاق هذا العدد تتار القرم المقيمين في شبه الجزيرة.

وفي 20 كانون الثاني من عام 1991 جرى استفتاء شعبي في القرم صوت من خلاله 93% من سكان شبه الجزيرة على منحها استقلالاً ذاتياً ضمن جمهورية أوكرانيا السوفياتية. وافقت الأخيرة على هذا المطلب بعد استثناء مدينة سفاستوبول من هذا الاتفاق.

7.5 فترة ما بعد سقوط الشيوعية و سيطرة أوكرانيا على القرم

في 19 آب عام 1991 قام بعض الشيوعيون المحافظون بمحاولة انقلاب في موسكو لقلب نظام "غورباتشف"، إلا أن المحاولة فشلت فكان من نتيجتها مطالبة كل الجمهوريات السوفياتية بالانفصال عن الإتحاد السوفياتي. أيد البرلمان الأوكراني هذا الانفصال في 24 آب من نفس العام وبعد ستة أيام منع الحزب الشيوعي الأوكراني من مزاولة نشاطه. وفي الأول من كانون الأول عام 1991 جرى استفتاء شعبي على

[1] Pohl, Otto J.*The Stalinist Penal System: A statistical History of Soviet Repression and Terror.* Jefferson, North Carolina: McFarland & Company, 1997. 6/2/2001.**www.euronet.nl/ users/sota.statshist.html**. p. 7.

الاستقلال أيده 90.3% من المقترعين(1)، وفي الثامن من ذلك الشهر تم حل الاتحاد السوفياتي و تم تشكيل اتحاد الدول المستقلة(2) بدلاً عنه، ومنذ ذلك الوقت أصبحت أوكرانيا دولة مستقلة ذات سيادة منفصلة عن موسكو. وهكذا استمرت شبه جزيرة القرم جزءاً من أوكرانيا بعد سقوط الاتحاد السوفياتي.

وفي شباط عام 1992 صوت المجلس الأعلى للقرم (وهو مثابة البرلمان المحلي) على تحويل شبه الجزيرة إلى "جمهورية" ضمن دولة أوكرانيا، فردت السلطات الأوكرانية بعرضٍ يقضي بإعطاء المزيد من الاستقلال الذاتي لشبه الجزيرة، لكن المجلس أصر في 5 أيار على إعلان الاستقلال الكامل عن كييف، إلا أن برلمان أوكرانيا رفض هذا الإعلان. وفي حزيران من ذلك العام أعطت السلطات الأوكرانية شبه جزيرة القرم حكماً ذاتياً، وقد تعزز هذا الحكم في مطلع عام 1999 حيث اصبح بامكان شبه الجزيرة وضع مسودة لميزانيتها وإدارة ممتلكاتها.(3)

---

[1] **Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2006**, p. 527.

[2] هو منظمة دولية اورو اسياوية مكونة من 12 جمهورية سوفياتية سابقة و مقرها في مينسك بروسيا البيضاء، و هذه الجمهوريات هي: أذربيجان | أرمينيا | أوزباكستان | أوكرانيا | تركمانستان | جورجيا | روسيا | روسيا البيضاء | طاجيكستان | قرغيزستان | كازاخستان | مولدافيا.

[3] **Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2008**, p.575.

والآن ينبعث الأمل باستقرار أوضاع تتار القرم وإعطائهم فرصة ليلعبوا دورهم كأحد قاطني الثغور الإسلامية. ويجب أن لا ننسى أن نتعظ من دروس التاريخ ونمعن في الاتحاد والتعاضد مع بعضنا وأن نتكل على الله سبحانه وتعالى وعلى جهودنا المخلصة لحل مشاكلنا، فهل من متعظ؟

المراجع

باللغة العربية:

1- المطبوعة:

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد. **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1938.

بينينغسن، ألكسندر و شانتال لوميرييه كيلكجاي. **المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي**. ترجمة عبد القادر ضللي. بيروت: دار الفكر المعاصر، 1989.

حرب، محمد. **الإسلام في آسيا الوسطى و البلقان**. ط2. بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1995.

خان، ظفر الاسلام. **المسلمون في بولندا**. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997.

شاكر، محمود. **التاريخ الإسلامي: التاريخ المعاصر 21: المسلمون في الأمبراطورية الروسية**. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي، 1994.

شاكر، محمود. **المسلمون تحت السيطرة الشيوعية**. الطبعة الثانية. بيروت: المكتب الإسلامي، 1979.

عطية الله، أحمد. **القاموس الإسلامي**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،1963

المسلمون في الاتحاد السوفياتي . تعريب إحسان حقي. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1988.

المصري، جميل عبد الله محمد. **حاضر العالم الإسلامي و قضاياه المعاصرة.** الطبعة الثامنة معدلة و منقحة و مزيدة. الرياض: مكتبة العبيكان، 2002.

2- الإلكترونية:

اتحاد المنظمات الاجتماعية في أوكرانيا (الرائد). " دراسات: مسلمي القرم". http://www.arraid.org/index.php?r=9&s=3&lang=ar . 2006/6/23.

محمود، شفيق جاسر أحمد. "محاولات التحالف بين المغول و الصليبيين ضد المسلمين في القرنين السابع و الثامن الهجريين و آثارها". http://www.iu.edu.sa/Magazine/75-76/3.doc. 6/2/2001

In English:

1- Print:

Akiner, Shirin. **Islamic Peoples of the Soviet Union**. 2nd ed. London: KPI, 1986.

Allworth, E. A. (Ed). **The Tatars of Crimea: Return to homeland**. Second edition, revised and expanded. Durham, North Carolina: Duke University Press, 1998.

Barthold, W. "Tatar". **The encyclopaedia of Islam : a dictionary of the geography, ethnography and biography of the Muhammadan peoples**. Ed by M.Th. Houtsma ... [et al.]. Leiden, The Netherlands : E.J. Brill, 1927-1934.

Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2008. 8th ed. London: Routlage, 2007.

Europa World Yearbook 2005. 46th ed. London: Europa Publications, 2005.

Fisher, Alan. "Crimean Khanate". **The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World.** John L. Esposito, editor in cheif. New York: Oxford University Press, 1995.

Inalcik, Halil. "Ghazi Giray II", **Encyclopaedia of Islam**. New edition. Leiden: E.J. Brill, 1965, v.2, p. 1046-1047.

Inalcik, Halil. "Giray". **Encyclopaedia of Islam**. New edition. Leiden: E. J. Brill, 1965, v.2, p. 1112-1114.

Inalcik, Halil. "Islam Giray", **Encyclopaedia of Islam**. New edition. Leiden: E.J. Brill, 1978, v.4, p. 178-179.

Kellner-Heinkele, B. "Mengli Giray I". **Encyclopaedia of Islam**. New edition Leiden: E.J. Brill, 1991, v.6, p. 1016.

Lazzerini, Edward J. "Gasprinskii, Ismail Bey". **The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World.** John L. Esposito, editor in cheif. New York: Oxford University Press, 1995.

Naimark, Norman M. **Fires of hatred: Ethnic cleansing in twentieth-century Europe**. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, c2001.

Savory, Roger. **Iran under the Safavids**. Cambridge: Cambridge University Press, 1980.

Spuler, B. "Kirim". **Encyclopedia of Islam**. Leiden: E. J. Brill, 1986.

The Tatars of Crimea : Return to the homeland : studies and documents. Edited by Edward Allworth. Durham, N.C.: Duke University Press, 1998.

Wren, Melvin C. **The Course of Russian History**. New York: The MacMillan Company, 1958.

Yemelianova, Galina. **Russia and Islam: A Historical Survey**. New York: Palgrave Macmillan, 2002.

2- Electronic:

"All Ukrainian Population Census 2001". www.ukrcensus.gov.ua/eng/results/general/nationality/. 2/2/2007

"Golden Horde, Empire of the". **The Columbia Encyclopedia**, Sixth Edition, 2001-05. http://www.bartelby.net/65/go/GoldenHE.html. 26/6/2006.

International Committee for Crimea. "Crimean Tatars and the Ukrainian state". http:// www.iccrimea.org/scholarly/oshevel.html. 24/5/2006.

Paskoy, H. B. "Crimean Tatars". www.euronet.nl/users/sota/paskoy.14html. 6/2/2001.

Pohl, J. Otto. **Ethnic Cleansing in the USSR, 1937-1949.** Westport, CT: Greenwood Press, 1999. www.euronet.nl/users/sota/pohlethnic.html. 6/2/2001.

Pohl, J. Otto. **The Stalinist Penal System: A Statistical History of Soviet Repression and Terror, 1930-1953.** Jefferson, North Carolina: McFarland and Company, 1997. www.euronet.nl/users/sota/statshsit.html. 6/2/2001.

"Russo-Crimean Wars". http://en.wikipedia.org/wiki/Russo-Crimean_Wars. 3/8/2006.

SOTA. "The Crimea". www.euronet.nl/users/sota/krimgeo.html. 6/2/2001.

“The Tatar Khanate of Crimea”.
http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate
23/8/2006.

“Tatars”. HighBean Encyclopedia**.**
http://www.encylopedia.com/html/t/tatars.asp. 13/7/2006.

“Ukraine”. http://www.citypopulation.de/Ukraine.html#Stadt_gross.
23/6/2006.

“UkrTravel”. http://www.ukrtravel.com/bakhchisaray/main.htm.
23/6/2005.

المحتويات

المقدمة ... ص 3

القسم الأول:

تتار الفولغا ... ص 4

مقدمة القسم الأول ... ص 5

1. التعريف بجمهورية تتارستان ... ص 8

1.1. الموقع ... ص 8

1.2. المساحة والسكان ... ص 10

1.3. المناخ ... ص 11

1.4. الاقتصاد ... 11

2. بداية التاريخ الاسلامي لتتار الفولغا .. ص 13

2.1. فترة بلغار الفولغا ... ص 13

2.1.1. وصول الاسلام إلى ضفاف نهر الفولغا ... 13

2.1.2. تأسيس دولة بلغار الفولغا الاسلامية ... ص 16

2.1.3. حضارة دولة بلغار الفولغا الاسلامية ... 19

3. فترة حكم القبيلة الذهبية ... 23

4. فترة حكم خانية قازان ... 28

5. احتلال الروس لقازان وخانيتها ... ص 35

6. الحياة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية في قازان قبل سقوطها بأيدي الروس ... ص 38

7. النتائج السلبية لسقوط خانية قازان على مسار الدعوة الاسلامية في حوض نهر الفولغا ... 40
8. تتار الفولغا منذ السيطرة الروسية القيصرية حتى الآن... 42
9. تاريخ مساجد تتارستان ... ص 48
10. تاريخ المؤسسات التعليمية في قازان ... ص 52
11. المراجع ... ص 55

القسم الثاني
تتار القرم ... ص 60
مقدمة القسم الثاني ... ص 60
1. لمحة عامة عن شبه جزيرة القرم ... 63
1.1 الجغرافيا ... ص 63
1.2 الاقتصاد ... ص 67
1.3 الوضع السياسي الحالي ... ص 69
2. أصل تتار القرم ... ص 70
3. اعتناق تتار القرم الاسلام ... ص 72
4. شبه جزيرة القرم خلال فترة حكم القبيلة الذهبية ... ص 75
5. شبه جزيرة القرم في عهد أسرة "غيراي" ... 77
6. فترة الاحتلال الروسي القيصري لشبه جزيرة القرم ... 94
6.1 تأثير الحرب العالمية الأولى على أوضاع شبه جزيرة القرم ... ص 100
7. السيطرة الشيوعية على شبه جزيرة القرم ... ص 102
7.1 انقضاض الشيوعية على شبه جزيرة القرم ... ص 102

7.2 شبه جزيرة القرم خلال العهد السوفياتي ... ص 104
7.3 شبه جزيرة القرم خلال الحرب العالمية الثانية ... ص 106
7.4 النفي والابعاد ... ص 107
7.5 فترة ما بعد سقوط الشيوعية وسيطرة أوكرانيا على
القرم ... ص 109
المراجع ... ص 112